العرش المسموم

اعترافات طاغية روما بين أنياب الخيانة وضمير الحقيقة

تأليف: **أرفيد يرنفلت**

ترجمة:

صهيب إسماعيل أحمد

(صهيب هرتز)

و

الأستاذ محمد أبو خليل محروس

(الشهير بـ محمد محروس)

دار صهيب هرتز للنشر

suhaib2018078@science.sohag.edu.eg

muhamedabukhalilae@gmail.com **معرف أوركيد:** https://orcid.org/0009-0009-6904-2827

المُعرِّف الدولي الموحد: https://isni.org/isni/0000000530269139

بسم الله الرحمن الرحيم

تتشرف **دار صهيب هرتز للنشر**، بقيادة مديرها العام الأستاذ **صهيب اسماعيل أحمد** (الشهير بـ صهيب هرتز)، ومديرها التنفيذي الأستاذ **محمد أبو خليل محروس** (الشهير بـ محمد محروس)، بأن تضع بين يدي القارئ العربي هذا العمل المترجم، إيماناً منها بأن الغاية الأسمى من نقله إلى لسان العرب ليست مجرد نقلٍ آلي للكلمات، بل محاولة جادة لرفد لغتنا العربية بما تجده في عوالم الفكر والمعرفة الرائعة، وإثراء مكتبتها بما يليق بمكانتها التاريخية والحضارية كوعاءٍ جامع للعلوم والفنون.

وإيماناً من الدار بأن الترجمة فِعلُ تضامنٍ معرفي وسِفرٌ حِضاري، نهدي ثمرة هذا الجهد لكل من يعتز بلغة الضاد، ويساهم في المشروعات التجارية البسيطة التي تهدف للنهوض بالعربية رايةً لها؛ وخصوصاً مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة، ومعرض القاهرة الدولي للكتاب، وحركات الترجمة والنهضة الثقافية المباركة في كل من المملكة العربية السعودية، ودولة الإمارات العربية المتحدة، وجمهورية مصر العربية.

ودرءاً لأي لبس، تؤكد الدار أن المترجم قد اضطلع في هذا العمل بدور **الناقل الأمين** للمحتوى، مصحوباً بترجمة علمية وثقافية مميزة. لذا، فإن نشر هذا الكتاب لا يعني بالضرورة تبني الدار أو المترجم للأفكار أو الآراء الواردة فيه، ولا يعبِّر عن قناعاتهم الشخصية أو التوجهات السياسية للجهات المُهدى إليها. فالمسؤولية عمَّا ورد في النص تقع على مؤلفه الأصلي وحده، والدار والمترجم بريئان من أي شيء يخالف عقيدة التوحيد. وهذه الترجمة إنما هي للدراسات النقدية والاطلاع على أفكار الغير دون دعمها.

ختاماً، نأمل أن يكون هذا الكتاب لبنةً في بناء النهضة اللغوية المعاصرة، وزاداً معرفياً يخدم القارئ العربي في كل مكان.

معلومات النص الأصلي

العنوان الأصلي: أوريان أوبي (مسرحية في خمسة فصول)
المؤلف: أرفيد يرنفلت
مكان وتاريخ النشر: أوتافا، هلسنكي، 1902.

الشخصيات

تيتوس فلافيوس، مُخَرّب أورشليم.
فسباسيان، أبوه.
دوميتيان، أخوه.
دوميتيا.
برنيس، أميرة يهودية.
ليسيماكوس، عبدٌ، طبيب.
الأخوان كاسيوس.
أولوس كايسينا.
القسطور.
فيلسوف.
شاعر.
كالياس، طبيب خاص.
قادة مئتين، شيوخ مجلس، أعيان، فرسان، عامة، حشد، عبيد، عازفون.

الفصل الأول: في أرض اليهودية.
الفصلان الثاني والخامس: في المقر الإمبراطوري الخاص خارج روما.
الفصلان الثالث والرابع: في روما.
(الأعوام 68-81 ميلادية).

الفصل الأول

المشهد الأول

معسكر الرومان في أرض اليهودية. على اليسار تظهر الخيام، وعلى اليمين تبدأ حديقة عتيقة. جماعة من قادة المئتين يجلسون في الميدان يشربون ويلعبون النرد. فتيات يهوديات يحملن ذهاباً وإياباً أزهاراً وأشربة في سلال. وقت غروب الشمس.

القائد المئيني الأول: (قادماً من الخلف) تلقى قائد معسكرنا أنباءً عظيمة من روما.

بقية القادة: هاتِ ما سمعت!

القائد المئيني الأول: لقد اغتيل غالبا في روما.

بقية القادة: أوه، ماذا تقول؟ كيف؟ ومن؟ (ينهضون).

القائد المئيني الأول: لقد نادى الحرس الإمبراطوري في روما بأوثو قيصراً. واغتيل غالبا عند حافة الساحة.

(يتجمع الباعة المتجولون اليهود حول القائد ليستمعوا).

القائد المئيني الثاني: أوثو قيصر سيء. لا يمكن للمرء أن يحكم من وجهه إن كان رجلاً أم امرأة. وهو يمشي بطريقة مريبة.

بقية القادة: (يضحكون).

القائد المئيني الأول: صه، صه. يعلن فسباسيان أن فيلقنا سيؤدي غداً يمين الولاء لأوثو.

القائد المئيني الثاني: أووه... آه، آه... ولكن قبل أن تتم محاكمتي بتهمة الخيانة العظمى، سيكون في روما قيصر ثالث. فيتليوس ربما! (ضحك).

القائد المئيني الأول: اسمعوا، هناك نبأ آخر.

البقية: أجل؟

القائد المئيني الأول: لقد تخلى تيتوس عن رحلته إلى روما وعاد من كورنثوس إلى هنا، إلى معسكر اليهودية.

القائد المئيني الثاني: هذا ما توقعناه. كان غرض رحلته إلى روما هو نيل حظوة الشيخ غالبا وتبنيه، ومن ثم الوصول إلى عرش روما.

القائد المئيني الأول: صه، صه، هناك غرباء هنا!... والخبر الثالث...

بقية القادة: هاته!

القائد المئيني الأول: عودة تيتوس تعني أن فيالقنا ستتحرك، وستبدأ مسيرتها نحو أورشليم غداً.

(يطلق الباعة المتجولون اليهود والفتيات صرخة فزع ويهربون في كل اتجاه).

القادة: (يضحكون). على الأقل تركوا لنا بضائعهم. (يأخذون زقاق النبيذ وأغصان الغار من السلال ويستعدون لمواصلة الشرب مكللين بعضهم البعض).

القائد المئيني الثاني: كلها أنباء سارة! نخب فسباسيان العجوز، قائد معسكرنا! نم بسلام في خيمتك، ودع أبناءك يستمتعون! ونخب أوثو، إمبراطورنا الجديد! نخبه!

القائد المئيني الثالث: إذن إلى هناك ذهبت آمال تيتوس! لعل ذلك كان متوقعاً.

القائد المئيني الأول: لا تقل ذلك. لقد عاد تيتوس إلى هنا أكثر يقيناً من أي وقت مضى.

القائد المئيني الثاني: حقاً؟ هل لديه الآن أمل في أن يصبح ابن أوثو بالتبني؟

القائد المئيني الأول: لا أدري. لقد عاد واثقاً فحسب. إنه كالمجنون من فرط سعادته. في السابق، كان الأمر مجرد تخبط غير مؤكد، كما يقول، أما الآن فأنا أؤمن به حتى أنا.

القائد المئيني الثاني: لكنني أنا لا أؤمن. فأنا أيضاً أعرف روما.

القائد المئيني الثالث: تيتوس لن يصلح للرومان! هل ملامحه رومانية؟ أليست أقرب إلى ملامح رجل غالي محدث نعمة، لا ينقصه إلا الشارب المفتول؟

القائد المئيني الرابع: لا تقولوا هذا، لقد نشأ تيتوس في بلاط نيرون.

القائد المئيني الثاني: أما سلوك تيتوس فهو ممتاز. لكن الأصل... الأصل لا يصلح لشيء! (هامساً) بكل احترام: قائد معسكرنا المحترم، فسباسيان العجوز، ينحدر من سلالة عبيد غالية ما.

القائد المئيني الثالث: يُقال إن فسباسيان، قبل أن يرتقي، كان مرابياً عادياً وتاجر حمير. مثل هذه السلالات لا تصلح للحرس الإمبراطوري في روما.

القائد المئيني الثاني: أجل. عليهم أن يكونوا من طينة أرقى.

القائد المئيني الرابع: وشباباً وفجرة حقاً، حتى تنعم روما بالملذات كما تشاء.

القائد المئيني الأول: تلك هي السمعة التي حاول تيتوس أن يتركها خلفه في روما. قيل في روما إن نيرون نفسه لا يضاهيه

في حياته.

القائد المئيني الثاني: آه، آه، كم لديهم من حسابات!

القائد المئيني الخامس: ها هو قادم هناك. (يقفز بقية القادة واقفين، يذهبون إلى الخلف، وينظرون إلى اليسار).

القائد المئيني الخامس: انظروا كيف تتقد وجنتاه!

القائد المئيني الثاني: وكيف تلمع عيناه وتشتعلان!

القائد المئيني الأول: الآن، يا رفاق، ستكون ليلة ممتعة!

جميع القادة: نخبك، تيتوس فلافيوس!

تيتوس: (يظهر في الخلف) مرحى أيها الأصدقاء، مرحى أيها الرفاق! ها أنا ذا!... آه، يا أصدقائي، أبي الذي كنت أنوي اتخاذه طعن حتى الموت قبل أن يتمكن حتى من رؤية ابنه المتبنى. ها أنا أعود إليكم يتيماً من جديد. ها ها ها.

القائد المئيني الثاني: لقد قيل لنا مع ذلك، أنك الآن أكثر ضماناً مما كنت عليه عند رحيلك.

تيتوس: لقد صدق من أخبركم. لقد رحلت وأنا متردد شاك، ولكني أعود مفعماً باليقين والأمل.

القائد المئيني الأول: اجلس هنا بيننا. انظر، نحن نكرمك بأشربة أطيب من أي وقت مضى. اجلس هنا وحدثنا. في صحوك، تيتوس! (يشرب القادة).

تيتوس: أعلم أنكم تنتظرون مبررات واحتمالات واستنتاجات حاسمة. لا أملك شيئاً من كل ذلك. أنا أعزل مما كنت عليه في أي وقت مضى. لكن اليقين يسكن صدري... لقد جئت من قبرص. في معبد بافوس الشهير، قدمت قرابين ثمينة للآلهة. ولكن بينما كنت واقفاً عند المذبح والدخان يتصاعد نحو السماء الصافية، نظر الكاهن الأعلى سوستراتوس في تعاريجه السوداء وتكلم إليّ وتنبأ لي بمجرى مستقبلي. "ستصبح حاكماً عظيماً"، قال، "ستملأ الدنيا بالأعمال الصالحة؛ ولن يكن أحد بمثل ما ستكونه محبوباً، لأن كل من يرى محياك الإلهي سيصبح عبداً لك طواعية، والأراضي التي تلامسها قدماك ستستسلم لك رعايا من تلقاء نفسها. الشرق والغرب سيمجدانك سيداً لهما، وروما ستؤله اسمك." هكذا قال. وهل تعلمون، لقد شعرت بكياني كله ينتفض انتفاضة عذبة. قلبي تمدد، صدري انتفخ، ومنذ تلك اللحظة وأنا واثق، واثق جداً، واثق جداً...

القائد المئيني الثاني: نخب قيصر المستقبل!

تيتوس: أعرف أنتم أنكم جميعاً تؤمنون. وأنا محبوب روما كلها. هذا هو أساسي وقاعدتي.

القائد المئيني الثاني: نخبك، تيتوس! لا تنسني هنا في آسيا البعيدة، عندما تصبح سيد روما.

القادة الثالث والرابع والخامس: ولا تنسانا نحن أيضاً!

تيتوس: (يشرب) أنا أنسى! أنا أحب العالم كله. سآخذكم معي إلى روما. سأجعلك قنصلاً، وأنت حاكماً... ها ها. اعلموا، عندما أصبح قيصراً في يوم من الأيام، سأكون عندها طيباً جداً مع الجميع، مع العالم بأسره، بحيث لم ترَ روما حاكماً مثله من قبل.

القائد المثيني الثاني: يُحكى أنه كان هناك في أورشليم ملك من هذا القبيل، لم يكن يريد إلا الخير لرعاياه. لكن الأوغاد قتلوه.

القائد المثيني الثالث: وطُرد رعاياه من أورشليم، وجاء بعضهم حتى إلى روما، وقام نيرون الباطش بصلبهم وإحراقهم.

تيتوس: أعرف ذاك الملك اليهودي الذي تتحدثون عنه. لم تكن لديه أي سلطة. يقولون إنه كان ابن نجار فقير. أما أنا فسأصبح سيد العالم، وسأملأ العالم كله بالأعمال الصالحة. (يشرب).

القائد المثيني الثاني: تماماً كما قالت النبوءة!

تيتوس: آه، كم أنا في مزاج جامح. لنشرب الليلة كلها. هذه ليلتي. آه، كم هي عطرة! وانظروا كيف يبدر البدر أصفرَ ضخماً تكريماً لي. أنا أشرب، الآن أنا أشرب!

القائد المثيني الرابع: لنذهب إلى خيامنا: لقد بدأت الأشباح تظهر هنا في المعسكر منذ رحيلك.

القائد المثيني الثاني: أجل، اسمع منا الأنباء الآن في دورك. لقد ظهرت هنا ابنة ملك...

القائد المثيني الرابع: ... ابنة ملك يهودي من أورشليم...

القائد المثيني الثاني: وفي الليالي المقمرة تمشي هنا في الحديقة، أجمل من كليوباترا أو فينوس نفسها.

القائد المثيني الثالث: تأتي أحياناً إلى هنا حتى الخيام، ماشية شاردة الفكر، وفي عينيها بريق غريب... ولا يجرؤ أحد على محادثتها... لا بد أن تظهر الساحرة ثانية قريباً.

القائد المثيني الأول: اصمتوا لأروي لكم. أخت ملك اليهودية، هيرودس أغريباس، برنيس، قد أتت إلى معسكرنا.

تيتوس: سمعت الكثير عن جمالها، مع أني لم أرها بنفسي.

القائد المثيني الأول: أضرم المتمردون في أورشليم النار في مسكنهم. لقد هربت إلينا طلباً للحماية، متوسلة إلى فسباسيان أن يعيدهم إلى الملك. ويبدو أنها بانتظارك أنت يا تيتوس.

القائد المثيني الثاني: ليتك رأيت الهدايا التي جلبتها لفسباسيان! اندهش الرجل العجوز وبرقت عيناه.

تيتوس: ها ها ها... أستطيع أن أتصور.

القائد المئيني الثالث: إنها أغنى من عشرة كراسوس مجتمعين. لآلئ، ماس، تيجان... تقدر قيمتها بالملايين.

القائد المئيني الأول: يُقال إنها كانت ملكة في خالكيس وكيليكيا. إنها تعرف كل بلاطات الشرق وتحكمهم بجمالها.

القائد المئيني الثالث: لكن فقدانها لسلطانها يثقل كاهلها كثيراً.

القائد المئيني الرابع: لا بد أنها حزينة على ذلك وهي تتجول في ضوء القمر. (يتطلع نحو اليمين).

تيتوس: (نصف ثمل) لكن ألا يجرؤ أحد من أبناء روما على التقدم إليها؟

القائد المئيني الثاني: لقد حاولوا. لكن لا تفيد معها أجمل الأغاني، ولا القيثارات، ولا حتى لو نزل أبولو بنفسه إلى الأرض! إنها لا تجد في جيشنا من يروق لها.

تيتوس: آه، لكنني أنا سأظفر بها.

القائد المئيني الثاني: ربما، لو عرفت بما تنبئ به لك.

تيتوس: سأظفر بها دون أن تدري من أكون.

القائد المئيني الثاني: ما إن تسمع صوتك حتى تحلق إليك كالفراشة إلى الشعلة.

تيتوس: أحسنت قولاً.

القائد المئيني الرابع: صه، صه! ها هي هناك!

القائد المئيني الخامس: آه، أنا لا أطيق رؤية السحرة. سأذهب إلى الخيمة.

القادة الثالث والرابع: وأنا أيضاً. (يذهب الثالث والرابع والخامس).

تيتوس: سأظفر بها!

القائد المئيني الأول: تيتوس، لقد منعنا قائد معسكرنا منعاً باتاً من مضايقتها.

تيتوس: اذهبوا أنتم! أقسم أني سأجعلها تستسلم طواعية. أتظنون أن هذه أول أميرة بربرية أحتلها؟

القائد المئيني الثاني: (وهو ذاهب) تيتوس، اخلع خوذتك، لتظهر خصلاتك الإلهية. ها هي قادمة الآن.

تيتوس: أنت على حق. (يذهب الأول والثاني آخذين زقاق النبيذ معهم).

تيتوس: (ينظر إلى اليمين) أنت أجمل من سمعتك يا برنيس. لكنك لست غريبة عن دروب الحب، أعرف، أعرف سمعتك في ذلك أيضاً، ها ها ها!

برنيس: (تأتي من اليمين، تنظر حولها، وعندما تلاحظ أنها بلغت المعسكر تستدير عائدة، فترى تيتوس، تحدث نفسها:) لا بد أن يكون هذا تيتوس فلافيوس.

تيتوس: من أنت أيتها اليهودية الجميلة؟

برنيس: من أنت... أيها الروماني؟

تيتوس: انظري!

برنيس: قائد مئتين؟ رجل وسيم نوعاً ما... لكن ابتعد عن طريقي. لقد وُعدت بالسلام هنا.

تيتوس: أنت برنيس، أخت هيرودس أغريباس.

برنيس: وأنت؟

تيتوس: أردت أن أبلغك أن من كنت تنتظرينه قد عاد إلى معسكرنا.

برنيس: سمعت أن تيتوس فلافيوس قد عاد إلى المعسكر. لكن كوني أنتظره، فهذا ما لا أعرفه.

تيتوس: يقولون إنك بحاجة إلى مساعدة.

برنيس: (تتنهد) آه، أجل! لقد طردني شعبي. جئت أطلب المساعدة... لكن أتظن أن لتيتوس أهمية في ذلك؟

تيتوس: كل شيء هنا يتوقف على تيتوس.

برنيس: (متظاهرة بالدهشة) أنت أول من يقول ذلك. لقد قيل لي إنه يسير في أحلام وراء الغيوم ولا يأبه لأمور الفيالق.

تيتوس: من قال ذلك؟

برنيس: هل أنت من هنا، حتى لم تسمع ذلك يُقال؟ يقال إنه يتصل فقط بنبلاء روما والحرس الإمبراطوري، آملاً أن يختاروه قيصراً. الجميع هنا يضحكون من ذلك.

تيتوس: يضحكون؟ هنا؟ هنا في المعسكر؟

برنيس: هنا في المعسكر... وكذلك في روما.

تيتوس: إنك تتحدثين بلهجة عامة جداً. هل تعرفين روما؟

برنيس: موكيانوس...

تيتوس: (يجفل) موكيانوس؟ وماذا عنه؟

برنيس: عاد موكيانوس مؤخراً من روما. هل تعرفه؟

تيتوس: (متفادياً) أجل... قليلاً...

برنيس: إذن تعرف أن موكيانوس هو كل شيء في روما، إنه يعرف كل عائلات النبلاء في روما جيداً، ويعرف تيتوس جيداً أيضاً... وقد ضحك هو أيضاً من تيتوس.

تيتوس: موكيانوس، ضحك!

برنيس: قال إنه سريع التصديق جداً. وهنا في المعسكر، القائد فاليريوس...

تيتوس: (لنفسه) يا للآلهة!

برنيس: أجل، فاليريوس وأصدقاؤه ضحكوا على سمعي قائلين إن شخصاً مثل تيتوس يظن نفسه من سلالة الأباطرة.

تيتوس: (لنفسه) يا للآلهة! يا للآلهة!

برنيس: ما بك؟ هل تيتوس صديقك؟

تيتوس: (في مرارة خيبة الأمل القصوى) آه، كم أنا مضروب! الأساس يتزعزع تحت قدمي. بماذا أتعلق، بالسماء أم بالأرض! آه!

برنيس: (متظاهرة) من أنت؟ ماذا قلت لك! آه! أنت... أنت تيتوس فلافيوس! ها ها... كان هذا مضحكاً!

تيتوس: (يقيّم موقفه إزاء برنيس، يحدث نفسه:) كلهم، فاليريوس، وموكيانوس، وتصورات روما كلها، أستطيع توجيهها حيثما شئت. لكنك أنت لن تنسي أبداً هذه الحادثة وخيبة أملي المضحكة. وعندما أصبح قيصراً، ستشيرين إليّ وتقولين لعشاقك: أنا أعرف تيتوس، وستكون قصتك لهم مفتاحاً لكينونتي. يجب أن أفعل ما يمنع وجود هذا المفتاح. (يسحب خنجره جزئياً). إما أن أقتلك الآن، أو... أجعلك صديقتي الأبدية... سنرى. (يقترب من برنيس). برنيس، إذا كان الجميع يضحكون من نواياي، فيجب أن أبحث عن أصدقاء جدد يؤمنون بها. سمعت الكثير عنك يا برنيس... عن مهارتك ونفوذك...

برنيس: لو كنت رأيتك من قبل يا تيتوس... لما كنت أصغيت إلى التقييمات. كينونتك تنطق بشيء آخر.

تيتوس: لقد أضعت مكانتك وتريدين استعادتها. أنا أحقق كل ما أريد. أبي لا يمنع عني شيئاً.

برنيس: أشكرك، أيها تيتوس الجميل.

تيتوس: لكن... أليس مكانك ومركزك هنا أضيق من أن يسع مثلك؟

برنيس: أحلامي كانت دائماً أكبر من هذا الواقع... أعترف بذلك.

تيتوس: آه، برنيس... ألا تسير أحلامنا معاً؟

برنيس: (تلتزم الصمت).

تيتوس: أنت لا تؤمنين بي.

برنيس: قل لي يا تيتوس... على ماذا تبني إيمانك؟

تيتوس: (مرتبكاً) على ماذا أبني؟... تنبأ سوستراتوس...

برنيس: (ضاحكة قليلاً) هكذا إذن.

تيتوس: أنا أؤمن، أنا أعرف ذلك يا برنيس! لقد تلقيت هذا الإيمان منذ الطفولة. لقد نشأت في بلاط نيرون. أخذتني جدتي فيسباسيا بولا مرة إلى سباق العربات. تأخر القيصر. كنا ننتظر في المقصورة الإمبراطورية، وكنت ممسكاً بيد جدتي، أنظر إلى الجمهور. أنظر وأسمع حفيف حركة، عندما التفت الجميع إلينا مبتسمين هامسين. قلت: جدتي، لماذا يصفقون بأيديهم بخفة، بخفة؟... هذا موجه لك يا تيتوس، هذه تحية سرية من روما لك في المقصورة الإمبراطورية... منذ ذلك الحين وذهني مشتعل. منذ ذلك الحين وروما بالنسبة لي سطح معدني أزرق أريد أن أنعكس عليه. آه، برنيس، لقد أيقظ فيّ عطشاً لا ينطفئ. يجب، يجب... حتى لو تزعزعت كل الأسس... سأجمع الثروة هنا في آسيا لأرشي بها الحرس الإمبراطوري. برنيس، أنت غنية. سنشتري روما!

برنيس: كل كنوزي مفتوحة لك يا تيتوس. لكن هذا كله، قصور في الهواء. ثمة حاجة إلى شيء أكثر يقيناً وأكثر ضماناً... حاجة إلى دعم الآلاف.

تيتوس: هذا غير موجود. أنت نفسك تجعلين كل شيء قصوراً في الهواء.

برنيس: هناك أساس آخر، تدعمه آلاف العوامل من كل جانب. لكن ليس بهذه السرعة يا تيتوس... ليس بهذه السرعة. ليُناد أولاً بأبيك العجوز فسباسيان قيصراً. وأنت تخلفه.

تيتوس: أبي؟ ها ها. برنيس... إنه قائد جيد وموظف جيد. لكن قيصراً لروما!... لا، لا.

برنيس: لعل ذلك مع ذلك.

تيتوس: برنيس، لقد رأيته هنا في المعسكر. إنه كجندي عادي. لم يتلق تربية البلاط قط. أنت لا تعرفين روما... كانوا

سيضحكون حتى من مجرد التفكير في ذلك.

برنيس: أنا لم أفكر في روما حتى. إلى جانب روما، هناك قوة أخرى تخلق القياصرة.

تيتوس: أية قوة هذه؟

برنيس: إنها الفيالق.

تيتوس: الفيالق؟

برنيس: إذا كان غالبا، كما يقال، قد استطاع أن يرتقي بمساعدة الفيالق من هسبانيا، فلم لا يستطيع فسباسيان من آسيا؟

تيتوس: أنت تعنين أن نثور على روما!

برنيس: أمثال نيرون خاصتكم قد نهكوا أقاليمهم الشرقية حتى النخاع. ما من شيء تشتهيه هذه الأقاليم الآن أكثر من أن ترى عجوزاً مقتصداً يروق لها قيصراً لروما. وهذا هو أبوك فسباسيان.

تيتوس: في فيالقنا نفسها يمكن لهذه الفكرة أن تشتعل كالنار. أعرف ذلك، أشعر به في كل عرق فيّ... فسباسيان هو أيضاً محبوب الفيالق.

برنيس: أنا أضمن الحلفاء: سويموس، أنطيوخوس... معنا. أضمن أيضاً الملك فولوغيسوس. تيبيريوس ألكسندر من مصر، وموكيانوس نفسه من سوريا سينهضون فور تلقي الإشارة الأولى.

تيتوس: برنيس! نحن ننتمي إلى بعضنا البعض!

برنيس: آه، تيتوس، لقد أسرتني نظرتك الجميلة! وأنا أيضاً أتنبأ لك: عندما تنهض لمحاصرة مدينتي، وعندما تقف داخل أسوارها، اعلم عندها أن النبوءة العظيمة لشعبنا ستتحقق فيك: من أورشليم سيأتي سيد العالم!

تيتوس: "من أورشليم سيأتي سيد العالم!"

برنيس: (تنسحب بعيداً عن الأنظار أثناء التالية).

تيتوس: سأبقى لأخمد ثورة اليهودية. وفسباسيان، بعد مناداته قيصراً، يسير إلى روما!... لقد عشت في الأحلام. هذا شيء آخر. هذا أساس تحت الأقدام. الآن يأتي... يأتي ذاك المنتظر طويلاً، ذاك العظيم الحقيقي. ألم أكن أؤمن به من قبل؟ لماذا هو الآن لي كالجديد، ينتزع قلبي منتشياً؟ في سكون الليل ينهض هادراً وكأن الأرض والسموات تنقلبان في مواضعهما: سأكون يوماً حاكم هذا العالم، وبعد الموت سأطأ مصاف الآلهة!

برنيس! برنيس! أين أنت؟ لماذا تركتني؟

عبثاً فزعت. أعرف أنك لن ترحلي عني. في هذه اللحظة، كنهرين قويين، جرى قدرانا معاً. نامي، أيها المعسكر، نامي! غداً سأوقظك إلى فكر جديد وسأشعل النفوس لهيباً. (يذهب يساراً).

برنيس: (تظهر على الحافة اليمنى، تنظر في أثر تيتوس). أنا مندهشة. هل أصدق نفسي؟ هل نجحت بهذه السرعة!... آه، أالآن، أالآن!... أورشليم، سيدوسك الروماني تحت قدميه. أورشليم، أنا يهودية أيضاً: لماذا أهنتني ولماذا أحرقت مسكني! وداعاً أيتها الأورشليم الأبدية. لم أنتقم منك شر انتقام، لم أبعك بثمن بخس: لقد استبدلتك بسلطان العالم. (الستار).

الفصل الثاني

المقر الإمبراطوري الخاص خارج روما (في سابينيوم). بهو أمامي مفتوح بلا سقف. أبواب مغطاة بالستائر تؤدي إلى الغرفة الداخلية التي تعلو بضع درجات. على اليسار مذبح قربان تشتعل فيه نار. بجانب باب الغرفة الداخلية منضدة عليها آنية طبية وعقاقير.

تيتوس، دوميتيان، أولوس كايسينا، القسطور، قادة مئتين وبلاطيون يقفون متجهين نحو الغرفة الداخلية، في انتظار متوتر.

ليسيماكوس: (يخرج من الباب الداخلي، يذهب إلى زجاجات الدواء).

تيتوس، دوميتيان وآخرون: ما الأخبار؟

ليسيماكوس: الدورة الدموية أكثر انتظاماً، والحمى انخفضت.

الحاضرون: (بابتهاج) إذن أفضل!

ليسيماكوس: لا يمكن الجزم. في العمر المتقدم، يمكن أن تكون هذه العلامات علامات ضعف أيضاً.

تيتوس: (لنفسه) آه، هذا اللايقين الأبدي! (يذهب مع دوميتيان إلى الغرفة الداخلية).

ليسيماكوس: لكن القيصر سيستيقظ قريباً. عندها سنرى. (ينصرف بعد برهة ومعه آنية الدواء إلى الغرفة الداخلية).

البلاط: (يتفرقون جماعات تتحادث فيما بينها بصوت خافت).

أولوس كايسينا والأخوان كاسيوس: (في المقدمة، يتحادثون دون أن يسمعهم الآخرون).

كاسيوس الأكبر: انظر يا أولوس، كم يحزن تيتوس بمرارة على مرض أبيه العجوز!

أولوس كايسينا: إنه ممثل عظيم. منذ أن صار فسباسيان قيصراً، وتيتوس ينتظر في قلبه طوال عشر سنوات موت أبيه.

كاسيوس الأكبر: يا لسعد روما بأن هذا الأمل لم يتحقق.

أولوس كايسينا: أوه، أيها الأخوان، أيها الجمهوريون النبلاء. إننا نقترب من منعطف خطير. يجب أن نعمل الآن. إن مات فسباسيان، فقد فات الأوان، وسينهض طاغية ليسحق روما.

كاسيوس الأكبر: أنت على حق، أولوس كايسينا، يجب أن يحدث الآن.

أولوس كايسينا: أوه، يا أحفاد الأعيان القدامى، انظروا أي طاغية ينهض في تيتوس: حتى قبل أن يرقى، يمعن باسم أبيه في القتل والنفي في كل ما هو حر وشريف في روما.

كاسيوس الأكبر: سيصبح أشد قسوة من نيرون!

أولوس كايسينا: يا آخر ممثلي الحرية، هل تسمحون بأن تسكن خليلته اليهودية، برنيس، في قصر روما وأن تدعو نفسها أوغسطا؟

كاسيوس الأكبر: (متحمساً) لا أبداً! لا أبداً! أنا مستعد يا أولوس.

أولوس كايسينا: (لكاسيوس الأصغر) لكن أنت؟ أنت متردد؟!

كاسيوس الأصغر: لا تزل يريبني النقطة التالية: إذا قتلنا تيتوس، يجب أن يكون لدينا ضمان بأنكم أنتم الحرس الإمبراطوري، حلفاءنا، لن تخونونا وتنادوا بقيصر جديد. كلنا نعرف أن أخا تيتوس، دوميتيان الشاب... يحظى بحظوتكم.

أولوس كايسينا: ها ها، دوميتيان إذن!... صه! ها هو ذا.

دوميتيان: (يأتي من الغرفة الخلفية، يقترب من أولوس كايسينا). (ينصرف الأخوان كاسيوس).

أولوس كايسينا: القيصر دوميتيان؟

دوميتيان: هل كان أولئك السود عبيدك؟

أولوس كايسينا: (يومئ برأسه) جواسيسي.

دوميتيان: (بصوت خفيض، دون أن يسمعه الآخرون). أولوس، هناك أمر يجب الانتباه إليه بدقة الآن. والدي... كما أعتقد... كتب وصية يعينني فيها، دوميتيان، شريكاً لأخي تيتوس في الحكم. إذا سلمها إلى يدي تيتوس، فأنا هالك. سيزورها تيتوس. أنا أعرفه. إنه ماهر في هذا.

أولوس كايسينا: قيصر، أنت تعلم أنني من جانبي أتمنى لو أصبحت أنت وحدك سيد روما.

دوميتيان: آه، أولوس، أنت صديقي.

أولوس كايسينا: أولئك الاثنان كانا جاسوسيّ. لقد رووا أن الجمهوريين يتربصون بتيتوس ليغتالوه فور أن يموت فسباسيان... هل أبلغ تيتوس؟

دوميتيان: ما أدري. هذا شأنك أنت. ألست والي روما؟

أولوس كايسينا: أعتقد أنه من الأفضل لك في جميع الأحوال أن تكون في روما مستعداً للتحرك فوراً، لئلا يسبقك أولئك الحمقى الجمهوريون هناك فيعكروا أمورك.

دوميتيان: إذا بقيت أنت هنا فقط لتراقب أمر الوصية. اعلم: برنيس هنا. إنهما اثنان ضدي. كلاهما على قدر من المكر.

أولوس كايسينا: يلاحظ القيصر: إذا أزيح تيتوس، فبرنيس ستكون سندنا ضد أي شخص آخر.

دوميتيان: أنا أحب دوميتيا وأمقت برنيس. لا أريدها.

أولوس كايسينا: قيصر، من الممكن أن ترضى عندها بأقل.

دوميتيان: هل صحيح ما سمعته يقال: إنك على علاقة بها؟... حسناً، حسناً. لا أطالب بجواب... عندما أمتطي الآن إلى روما، يجب أن ترسل حراساً شخصيين معي. الطريق غير آمنة.

أولوس كايسينا: وروحك في هذه اللحظة أغلى من كل الكنوز.

دوميتيان: آه، أولوس، بأية هواجس تملأ قلبي! أوه، ليت أحداً يستطيع أن يرى عبر حجاب المستقبل!

ليسيماكوس: (يخرج من الغرفة الداخلية): جئتكم بالبشرى! لقد استيقظ القيصر. طلب لبناً، طلب طعاماً!... أسمعتم؟ طلب طعاماً.

الحاضرون: (يتلقون الخبر بابتهاج، محيطين بليسيماكوس).

تيتوس: (يخرج من الغرفة الداخلية. وجهه يبدي ابتهاجاً أكثر من أي شخص آخر).

ليسيماكوس: (يجيب السائلين) أجل، أجل، بكل تأكيد. إذا سارت الأمور بخير، فقد يعيش القيصر سنوات وسنوات كثيرة بعد. الأسوأ قد هُزم، الأسوأ قد هُزم! (يذهب ومعه الأدوية إلى الداخل).

تيتوس: يبدو أن الخطر قد زال فعلاً هذه المرة. شكراً لك يا ليسيماكوس. جلبت البشرى لنا جميعاً... حاشيتنا الإمبراطورية حرة في العودة إلى روما.

أولوس كايسينا: اسمح لي بالسؤال، أيها القيصر النبيل، متى تعتزم أنت الوصول إلى روما؟

تيتوس: ولِمَ من الضروري لك أن تعرف؟

أولوس كايسينا: طال غياب الرأس الموجه عن روما... (بشكل خاص لتيتوس): لماذا تمكث أيها القيصر بعد الآن بجانب فراش المرض هذا، لقد زال الخطر! روما تنتظر، تتلهف لرؤية كيانك الإلهي من جديد. بينما أبوك هنا غير منظور، يبدو الأمر كما لو كنت أنت وحدك سيد روما. تعال أيها القيصر، تعال!... (بألفة وصوت أخفض): لقد ظهرت نجوم جديدة في سماء الليل.

تيتوس: ها ها ها. أنت تعرف من أين تؤخذ، يا أولوس المحترم. لا يا أولوس، لا أجرؤ على ترك الشيخ بعد. آمل أن تستمر في إدارة جلسات الشيوخ.

أولوس كايسينا: رجاؤك لنا أمر. (ينسحب جانباً).

دوميتيان: (لتيتوس). أما أنا فلن أغادر من هنا. أنت... أنت... الأب يعتزم كتابة الوصية... أنا أعرف... لقد رأيت الرق حتى بجانبه. إذا استطعت أنت البقاء هنا وحدك...

تيتوس: مهلاً، مهلاً يا دوميتيان... ستذهب إلى روما بهدوء، أليس كذلك؟ انظر، بما أننا تلقينا نبأً ساراً عن صحة الأب، يمكنك أنت ودوميتيا الحبيبة أن تقيما وليمة كبرى في القصر. يمكنكما دعوة من تشاءان، وتحضرا المنتصرين والراقصين، ويمكنكما هناك أن تلعبا لعبة الحكام المطلقين ما طاب لكما.

دوميتيان: دعك من هذا!

تيتوس: مع دوميتيا الصغيرة... ماذا؟

دوميتيان: فليكن، بما أن الأب تحسنت صحته. لكن إذا كنت أنت وتلك الوصية...

تيتوس: دوميتيان، دوميتيان... أنت عقبة في طريقي! هيا إذن...!

دوميتيان: حاشيتي! (ينطلق).

الحاضرون: في صحتك، أيها القيصر تيتوس! (يذهبون في أثر دوميتيان).

تيتوس: (للقسطور) ماذا بعد؟

القسطور: (يعطي تيتوس رقاً).

تيتوس: (يقرأ، يعيد الرق). كل المذكورين هنا يزج بهم في السجن.

القسطور: سجوننا ممتلئة أيها القيصر.

تيتوس: إذن نعدمهم عن آخرهم. (بعد برهة): ماذا يقول شعب روما عني؟

القسطور: يخافونك. يتوقعون منك نيرون آخر.

تيتوس: (يبتسم في نفسه). هذا حسن... قل لي، أيها المحس الأكثر حساسية لدي، ماذا يتوقع الأعيان مني... أولئك النبلاء القدامى في بيوتهم، حيث لا يلمع ذهب البلاط، بل تسكن روح روما العتيقة في شبه ظلمة هادئة. هل تجسست كما أمرتك؟ أنت صامت؟

القسطور: لا أدري إن كنت أجرؤ...؟

تيتوس: ماذا كنت تنوي أن تروي لي...؟

القسطور: بالأمس في أحد المجالس سمعت حقاً الأعيان يقيمونك.

تيتوس: تظن أني فضولي جداً، ها، ها.

القسطور: لديهم فكرة غريبة عنك. يقولون إنك إنما تتظاهر بالقسوة لإثارة الخوف والذل، كما فعل أوغسطس العظيم قبل صعوده العرش، لكن...

تيتوس: ... لكن؟

القسطور: لكنك لا تجيد تقليد شخصية أوغسطس العظيم رغم ذلك... يقولون... لا تتحكم بعواطفك... لست رومانياً حقيقياً... وأنت دخيل.

تيتوس: (انزعج بشدة). ألم أغلق على نفسي بعدُ بما فيه الكفاية! (متظاهراً بالرفعة): هل لعلهم رأوني أبكي؟ ها ها!... هل قلت لك؟ أولئك سيعدمون، كلهم. يمكنك الذهاب.

القسطور: (يتمهل).

تيتوس: ماذا؟

القسطور: أود تحذيرك أيها القيصر من أحد أعدائك.

تيتوس: قل.

القسطور: أبق عينك على أولوس كايسينا.

تيتوس: ماذا تقول؟ إنه خير أصدقائي!

القسطور: قد يكون. ومع ذلك، فقد أعد حرسه الإمبراطوري لاحتمال موت أبيك. انظر، هذه نسخة من مخطط مؤامرته، التي رأيتها بحوزة جنوده. (يعطي تيتوس رقاً آخر).

تيتوس: (يقرأ، متحمساً أكثر فأكثر، يقذف الرق بغضب في وجه القسطور). أنت من لفقتها بنفسك! أنت... أنت منافسه. كلاكما سعيتما لمنصب قيادة الحرس الإمبراطوري، وتحسداني على هذا المنصب. أنتما تسممان حياتي كلها، تفسدان بمؤامراتكما كل سعادتي، حتى قبل أن أحققها!

القسطور: (يلتقط الرق ويغادر ببطء).

تيتوس: ألهذا كنت أسعى؟ ألهذا أبدد حياتي؟... آه، لنجدة واحدة كانت ستنقذني... النجدة الوحيدة التي لم أحققها بعد... "ستصبح حاكماً عظيماً يا تيتوس، وستملأ الدنيا بالأعمال الصالحة"... ها ها، يالها من غفوة حالمة من زمن الشباب البعيد!... نعم، لو كنت شاباً، ربما كنت أحققها، لكني لا أجرؤ بعد الآن على ما كنت أجرؤ عليه حينها. ولا أعرف من أين أستمد القوة بعد.

ليسيماكوس: (يخرج من الغرفة الداخلية ويذهب إلى منضدة أدويته).

تيتوس: ليسيماكوس، ألا... يمكن لطبك أن يحدد وقتاً، كم سيطيق والدي العجوز هذه النوبات القاسية؟... بالتقريب...

ليسيماكوس: سيدي، هذا ليس الأهم. الأهم هو ألا نخطئ في طريقة العلاج نفسها.

تيتوس: غير أن من المهم جداً لشؤون الدولة أن تزن هذا السؤال.

ليسيماكوس: بعد إذنك سيدي، شأني هو فقط الحرص على أن يبقى الإنسان على قيد الحياة.

تيتوس: (يثور، لكنه يكبح جماح نفسه).

ليسيماكوس: كل شيء ممكن. من الممكن أن تأتي النهاية فجأة... عندما لا نتوقع. لكن من الممكن بنفس القدر أن القيصر... يبلغ الآن الثانية والسبعين... يتحمل هذه النوبة ويعيش بعدها عشر سنوات، لا بل عشرين سنة. لا أحد يعرف تلك اللحظة. إنها سر للبشر، ويجب أن تبقى سراً.

تيتوس: على الأقل للأطباء.

ليسيماكوس: (ينصرف إلى الغرفة الداخلية).

تيتوس: (يتحدث إلى الحجرة الجانبية اليمنى): برنيس! أحتاجك.

برنيس: (تأتي بصمت، وتقف على بعد خطوات من الباب).

تيتوس: سمعت ما قاله ليسيماكوس؟

برنيس: (تومئ برأسها).

تيتوس: هكذا يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وعاماً بعد عام. ما الذي ينقصني؟ أنا المهيمن على كل هيئات الحكم، أنا من أملي التصريحات الإمبراطورية في مجلس الشيوخ، أنا القنصل الدائم، أنا التريبيون، الحبر الأعلى مدى الحياة، قائد الحرس الإمبراطوري... شريك أبي في الحكم... قيصر. ومع ذلك لم أحقق ما كنت أصبو إليه. من يدري أينا يموت أولاً. هذا اللايقين هو ما يخزني ويبليني. فيما مضى كنت أفعل ما أشاء، أحقق ما أشاء. الآن لم يعد ذلك بيدي. لقد قيدت نفسي.

برنيس: هذا صحيح جداً: لقد توقفت. وجدت جرأتك حدها. لم تعد شاباً كما كنت حينها.

تيتوس: لا يا برنيس، عقلي يضطرم بشغف أكثر من أي وقت مضى. إنها فقط هذه الحيرة التي لا تطاق بالنسبة لي. لا أستطيع العيش من دون يقين. هذا ليسيماكوس، لا يستطيع أن يجزم بشيء. "قد يحدث قريباً"... ثم يعود قائلاً: "قد يعيش حتى عشرين سنة"... إذا لم يستطع الطب إجابتي، فسأسأل العرّاف، قارئ البشائر.

برنيس: فقط إن لم يثر ذلك الانتباه. سيقولون: تيتوس قلق.

تيتوس: أنا محاصر من كل جانب... أنت يا برنيس من البلاد الشرقية: قولي، هل تعرفين بشائر يمكن التكهن منها بالمستقبل؟

برنيس: ها ها ها.

تيتوس: تضحكين؟

برنيس: لطالما بدا لي غريباً أن الرومان يؤمنون بالبشائر. تيتوس، سلطان العالم هو نتاج اليد الواحدة. لا أحد يستطيع مساعدتك فيه، إن لم تأخذه أنت!

تيتوس: ليتني أعلم أن السماء لن تعاقبني على ذلك! إنه أبي.

برنيس: للسماء وسائل كثيرة لتظهر إرادتها. إن أقامت العقبات، فلم لا تأمرها أن تدوي برعدها كعلامة. تلك البشيرة ستكون جديرة بقيصر.

تيتوس: الآن منتصف النهار، السماء صافية.

برنيس: (تهز كتفيها): لا أعرف بشيرة أخرى.

ليسيماكوس: (يسحب جانباً ستارة باب الغرفة الداخلية).

فسباسيان: (يقف مستنداً إلى ليسيماكوس في مواجهة ظلام الغرفة الداخلية).

برنيس: (تنسحب جانباً بسرعة، دون أن تختفي عن الأنظار).

فسباسيان: أين ابني تيتوس؟

تيتوس: أبي، أبي، لا ترهق نفسك. ها أنا ذا، أبي.

فسباسيان: وابني دوميتيان؟

تيتوس: بعد أن اطمأنوا على صحتك يا أبي، غادروا جميعاً عائدين إلى روما.

فسباسيان: تعال هنا يا تيتوس. دعني أتحسسك. عيناي لا تبصران، لكني بالروح أراك حياً أمامي. تيتوس، تيتوس، هذه كلها من تدبيرك أنت. أنت جعلتني، أنا الموظف البسيط، قيصراً. لكن دعني أقل لك قبل أن أموت: أنت تتوهم أكثر مما ينبغي، وتنتظر من الأرجوان أكثر مما ينبغي. ليس شيئاً، ليس شيئاً على الإطلاق. طوال الوقت شعرت بأني مهرج كبير. وأكثر ما شعرت بهذا حين وقفت في عربة النصر... يا للأحمق! من الفجر حتى المغيب وقفت هناك سخرية

لنفسي وللعالم أجمع. مهرج أنا، حدث لي ما استحققته!

تيتوس: حتى وأنت تتعافى من مرضك، أنت غير قابل للشفاء من سخريتك!

فسباسيان: ويل لي! المشهد الأسوأ لا يزال أمامنا. بعد موتي ستقيمون موكب جنازة فخماً وتعلنونني إلهاً!

تيتوس: صه، صه يا أبي. قد يسمعك العبيد. إذا سار القيصر نحو الموت كأي إنسان عادي، فما الذي يميزه عندها عن رعيته؟ يصبح القيصر إلهاً بعد موته.

فسباسيان: إلهاً، إلهاً! آه، يا تيتوس: من القاسي على جندي عجوز مثلي، يملك سلطاناً على العالم، أن يفقد السلطان على نفسه حتى يعجز عن إنهاء حياته كما يليق بروماني. كم أرغب الآن في أن أورث هذه المهزلة. ماذا يا تيتوس؟ هل سأترك بضاعة مرغوبة؟ ها ها... ومع ذلك، لدي ولدان. احكما معاً. خذه بجانبك، دوميتيان، ليذوق قليلاً مما يتوق إليه بشدة. أعرف يا تيتوس أنك ستفعل كل شيء كما تريد أنت. أنا فقط أتوسل إليك: خذ دوميتيان معك. خذ هذه، هنا، كتبت خطة حكمي. (يعطي تيتوس رقاً). أوه، قواي، قواي! أطلت، أطلت الكلام... ليسيماكوس!

ليسيماكوس: يجب أن ترتاح يا صاحب الجلالة. ليْتَ هذا الجهد الجسدي لا يجلب كارثة!

فسباسيان: (يتراجع مستنداً إلى ليسيماكوس خلف الستار).

تيتوس: (يأتي إلى مذبح القربان، وبعد أن يفكر للحظة يلقي الرق في النار ويبقى ينظر إلى الدخان المتجه للأسفل).

برنيس: إلام تنظر يا تيتوس؟

تيتوس: ألقيت قطعة جلد في النار. فكرت: إذا تصاعد الدخان، تسير الأمور كما أريد... وإذا اتجه للأسفل، تسير عكس ذلك. انظري، كيف يتلوى الدخان على الأرض!

برنيس: أنت مخرّب أورشليم يا تيتوس. عندما كنت تحاصر المدينة، كان الطاعون المهول يعصف بها. أتيت من فوق السور. أغرقت آلافاً من أبناء قومي في أنهار الدم. عند أبواب الهيكل المقدس كان آخر الهاربين قد لجأوا متكلين على عون يهوه. أتيت، أتيت إلى هناك أيضاً! بابتسامة جليدية على شفتيك، وسخرية جنودك، قتلت وأحرقت الجميع: أفنيت شعباً كاملاً عن وجه الأرض... لم تنظر حينها إلى أين يذهب الدخان.

تيتوس: أما كان يجوز لي أن أفعل ما فعلت؟

برنيس: بلى، يا تيتوس. قلت صواباً: أنت تستطيع أن تفعل ما تشاء. لكن كان هناك شيوخ كثيرون يا تيتوس. الآن أمامك شيخ واحد يكاد يستجدي عونك ليتخلص من الحياة وأنت تسأل البشائر وتخاف العقاب! لقد ظننتك يا تيتوس لا تزال ذاك الروماني الذي لا يؤمن إلا بنفسه. كم ضعفت منذ ذاك الحين. لا تُظهر ذلك. لأن روما تريد بالتأكيد أن ترى رومانياً سيداً لها. وهناك في روما رجال...

تيتوس: برنيس!

برنيس: (خانعة): آه! لم تعد بحاجة إلي. (تذهب إلى اليمين).

تيتوس: حقاً، عندما أفكر... ما الفرق بين شيخ وآخر. بالدم والسيف شققت طريقي، قضيت على كل من وقف في وجهي، كتبت تحت مئات أحكام الإعدام، ولم أشك قط في أني أفعل ما يجب فعله. هنا لا يقف في طريقي سوى عاطفتي الخاصة: إنه أبي كما يقولون. ماذا تعني عاطفتي الخاصة هنا! وإلى جانب هذا: سنفترق على أية حال. الحياة تنهكك الآن، أكثر مما تمتعك. إنها لخدمة جليلة مباشرة لك. لا يوجد سبب، لا يوجد سبب لتأخيري... لكن آه! أنا عاجز. لا أستطيع أن أحسم بنفسي. هل بدأت فعلاً بالشيخوخة مبتعداً عن الحياة! قبل أن أحقق...! آه، قلبي، قلبي!

ليسيماكوس: (يأتي إلى منضدة الأدوية). انظر هنا أيها القيصر، هاهنا مادتان طبيتان عجيبتان، كلتاهما صافيتان كالماء العادي، لكنهما مختلفتان كلياً في مفعولهما: الأولى تشفي ببطء ويقين، والأخرى قد تشفي فوراً، لكنها قد تقتل فوراً أيضاً.

تيتوس: ألا تجرؤ على استعمالها يا ليسيماكوس؟

ليسيماكوس: لا، لا، لا. سيكون ذلك طائشاً. إنه دواء خطر أيها القيصر، قد يقتل في لحظات. لنضعها بعيداً، بعيداً. (يضع جانباً أحد الكأسين).

فسباسيان: أعطني ماءً يا ليسيماكوس، حلقي يحترق، ماءً!

ليسيماكوس: يا للآلهة! هذا صوت القيصر!

تيتوس: أعطني هنا!

ليسيماكوس: (يسلم الكأس من يده لتيتوس، ويسرع هو ومعه الماء إلى الغرفة الداخلية).

تيتوس: هل يمكن أن يكون هناك بشير أفضل مما وقع في يدي الآن؟ لا شك أنها ليست سماً! قال: قد تشفي فوراً. لتحسم السماء! (يبدل الكأسين).

ليسيماكوس: الآن هو وقت مناسب لإعطاء الدواء، قبل أن ينام المريض ثانية. (يأخذ الكأس من يد تيتوس، ويذهب إلى الغرفة الداخلية).

تيتوس: دوي إذن أيتها السماء! القيصر ينتظر جوابك. لا أسمع شيئاً، لا شيئاً على الإطلاق. المكان ساكن كأنه في مقبرة. كان هذا آخر عمل سيء مني. سأملأ العالم كله بالأعمال الصالحة.

ليسيماكوس: آه، ما هذا! (يركض خارجاً، باحثاً عن أدوية جديدة). أصيب القيصر بنوبة غير متوقعة. أخشى الأسوأ! (عائداً إلى الداخل). ويحي! لقد دخل في غيبوبة. هذه نهايته. ويحي، ويحي!

تيتوس: (عند باب الغرفة الداخلية) لا تصرخ يا ليسيماكوس، امنح السلام للمحتضر. ألا ترى كيف يموت دون ألم، الأب العجوز المتعب. السماء نفسها أنهت حياته.

ليسيماكوس: لم يكن ينبغي له أن يموت بعد. كنت آمل أن يعيش سنوات مديدة هادئة. ويحي!

تيتوس: (يأتي من عند الباب). لقد حانت ساعتي. ليسرِ الدم السابق فيّ، ليرفعني إيماني السابق بنفسي. اغربي... اغربي أيتها المشاعر الضعيفة! أخذت ما كان من حقي. الآن سأمتطي إلى روما. ليسيماكوس، الآن سأمتطي إلى روما. سأحمل خبر الموت بنفسي. حرس القيصر!

(يأتي الليكتوريون والحرس الإمبراطوري).

تيتوس: في هذه اللحظة، انضم القيصر فلافيوس فسباسيان إلى مصاف الآلهة!

الليكتوريون والحرس الإمبراطوري: نخب القيصر، تيتوس فلافيوس فسباسيان، إمبراطور روما! (يتمركز اثنان من الحرس الإمبراطوري، وسيوفهما مجردة، على باب الغرفة الداخلية، واحد على كل جانب).

تيتوس: إلى روما! (يذهب). (يذهب الليكتوريون والحرس في أثره. بعد برهة يُسمع قعقعة حوافر خيل متقدمة).

ليسيماكوس: (يأتي نائحاً من الغرفة الداخلية).

برنيس: (تأتي من اليمين).

ليسيماكوس: ويحي! على عكس تقديراتي، وعلى عكس كل حذري! أعطيته الدواء الأكثر أماناً. لكنه مات كما لو كنت قد أعطيته الأخطر... أوه، يا إلهي، ليتني كنت قد أخطأت! (يذهب لينظر إلى الكأس الآخر). مستحيل! لقد أعطيت القيصر تيتوس الكأس الصحيح في يده، لكن هذا يبدو قليلاً... يجب أن أفحص... يداي ترتعشان...

برنيس: (تأخذ الكأس من يد ليسيماكوس وتلقي به بعيداً). تفاهات!

ليسيماكوس: ويحك ماذا فعلت! الآن لن أعرف أبداً إن كنت مخطئاً.

برنيس: عبثاً تنتحب يا ليسيماكوس. ما حدث قد حدث. عملك لم ينته. احرس حياة تيتوس كما كنت تحرس حياة فسباسيان.

ليسيماكوس: ماذا عسى أن يفعل العبد سوى هذا. لا، قلت خطأ: كل قواي، كل طاقتي أبذلها في خدمة حياة سيدي. لا شأن لي بغير ذلك. لقد تبعت تيتوس منذ الطفولة واعتَنيت به. (شارد الفكر). أعتقد مع ذلك أنه بحاجة إلى أدوية خاصة جداً... خاصة جداً.

برنيس: أتسمع قعقعة الحوافر؟ الآن صار مخرّب أورشليم حاكم روما المطلق... أتؤمن يا ليسيماكوس بإله الانتقام؟

ليسيماكوس: (يهز رأسه).

برنيس: شتتوا شعب اليهودية ودمروا المدينة المقدسة، لكن اليهودية تسيطر رغم ذلك على حاكم العالم، وسيكون كل شيء بين يدي قريباً.

ليسيماكوس: كل شيء، إلا الانتقام.

برنيس: (تعبث بسوارها). كما أشاء.

ليسيماكوس: لا يوجد إله للانتقام. ليس هناك سوى حاصد يجمع الغلة من حقل العالم. حيث تنضج الثمرة، هناك تحصد.

برنيس: ها ها... أكان هذا حاصدك هو من حصد فسباسيان للتو!

ليسيماكوس: بلى، أيتها الأميرة.

برنيس: (ضاحكة) لست خطراً يا ليسيماكوس... لست حقاً! (الستار).

الفصل الثالث

غرفة في قصر روما. تشكل الخلفية أدراجاً عالية وأروقة أعمدة. في منتصف الأدراج، وعلى جانبيها، أبواب جانبية مغطاة بستائر. المقدمة هي بهو إمبراطوري، تؤدي منه أيضاً أبواب إلى كلا الجانبين.

دوميتيان ودوميتيا على اليسار، في وضع مهيمن بالنسبة لبقية الحاضرين، يتكأن بين أطباق وأشربة. أولوس كايسينا، الأقرب إليهما. على الجانب الآخر، الأقرب، فيلسوف. ثم شاعر البلاط وآخرون من المدعوين، فرسان، شيوخ مجلس، نساء، بعضهم قام من مكانه ويتحرك بحرية. الوليمة بلغت مرحلة متقدمة. الجميع في سلوكهم وأحاديثهم متحررون. الموسيقى تُسمع بين الحين والآخر. العبيد الإمبراطوريون يقومون بالخدمة.

دوميتيان: هيا أيها الشاعر، دعنا نسمع صوتك.

دوميتيا: صمتاً أيتها القيثارات! الآن سنعزف على الكيس ها ها ها!

الشاعر: لقد أعددت تكريماً لك بيتاً سداسياً طويلاً.

دوميتيان: أعددت!

دوميتيا: بدون إعداد، عليك أن تنقر حسب أوامرنا. أعطوه عصير العنب!

أولوس كايسينا: آها، الآن سنضع شاعرنا تحت الامتحان.

الشاعر: أنتظر أوامرك أيها القيصر.

دوميتيان: أنشد لنا كيف تريد أن يكون القيصر. هيا يا ربات الشعر! أيتها القيثارات، ساعدنه.

الحاضرون: اسمعوا، اسمعوا! (يتحول الانتباه من كل جانب إلى الشاعر).

الشاعر: مثلك أريده أن يكون، فاتن المنظر كشمس تشرق من وراء البحار، حراً سعيداً كالآلهة!

الضيوف: (باستحسان) جيد، جيد!

تيتوس: (يصل مسرعاً إلى أعلى درجات السلم، يتوقف فجأة ويستمع إلى كلمات الشاعر دون أن يعلن عن قدومه. ثم يختبئ وراء الستار الأيمن).

الشاعر: انظر، جيش العبيد العظيم، الذي يدعى روما، هو والدتك. انظر، إذ نشعر بالقيود، أردنا أن نرى واحداً بلا قيود، واحداً أردنا أن نرى إنساناً فوق البشر، لا تقيده قواعد ولا بنود ولا أوامر الفلاسفة. واحداً أردنا أن نرى حراً، تحيط به الثروة والسعادة، لا حدود له، يفعل ما يشاء، لا ينقصه شيء... وهكذا أنجبناك، أنت أيها القيصر الإلهي، الخالد!

الحاضرون: (يصفقون بأيديهم).

دوميتيان: قول ممتاز. أعلنك شاعر بلاطي، عندما أصبح قيصراً. أطعموه واسقوه.

أولوس كايسينا: ماذا يقول فيلسوفنا لهذا؟ أظن الشاعر وجه سخرية خفيفة لأمثالكم.

الفيلسوف: تكلموا عن الحرية، لكن من أفواههم نتن روح العبد. لكننا نحن الفلاسفة تسرنا دائماً المتناقضات. وهكذا أعرف مذهباً آخر يزدهر هو أيضاً في ملكك المقبل أيها القيصر... وهو، ككل تطرف، مثير للسخرية بنفس القدر.

دوميتيا: تحدث أنت في دورك.

الفيلسوف: أولئك المسيحيون، الذين كان نيرون يمزقهم بالوحوش في الحلبات ويحرقهم في المحارق، يعلمون أن القيصر لا يمكن أن يكون سعيداً البتة.

دوميتيان: من يمكن أن يكون أسعد من القيصر؟

الفيلسوف: الذي لا يأبه بالسلطة ولا بالغنى، كما يقولون.

أولوس كايسينا: الذين تمزقهم الوحوش؟ ها ها.

الحاضرون: والذين يحرقون في المحارق؟ ها ها ها.

دوميتيان: أما زال هناك مسيحيون في إمبراطوريتنا يا أولوس؟

أولوس كايسينا: لعل واحداً وآخر قد نجا من اضطهادات نيرون.

دوميتيان: عندما أصبح قيصراً سأحرق من بقي منهم.

الحاضرون: (يصفقون لدوميتيان).

ليسيماكوس: (يأتي، ينظر حوله، يقترب من أولوس كايسينا ويهمس في أذنه).

أولوس كايسينا: (ينتفض واقفاً، يهمس بحماسة مع ليسيماكوس).

دوميتيا: موسيقى، مزيداً من الموسيقى! وأين الراقصون؟... (لدوميتيان، بعد أن لاحظت ليسيماكوس): دوميتيان، انظر!... ما الذي يقوله لأولوس؟

أولوس كايسينا: (لليسيماكوس) بحق أبولو، لا تتفوه بكلمة حتى آذن لك.

دوميتيان: (ينتفض واقفاً، يقترب من أولوس كايسينا). ماذا حدث؟

الحاضرون: (مندهشين) ليسيماكوس هنا!

أولوس كايسينا: نوبة مرضية غير متوقعة... لقد مات فسباسيان!

دوميتيان: يا للآلهة!

دوميتيا: أين تيتوس؟

الحاضرون: (ما عدا أولوس كايسينا وليسيماكوس) أين تيتوس؟ (يتفرقون مضطربين يساراً ويميناً).

ليسيماكوس: (ينصرف متأوهاً إلى اليمين).

دوميتيان: الوصية، أولوس!

دوميتيا: تيتوس؟ أين تيتوس؟!

أولوس كايسينا: صه! يقول ليسيماكوس إن تيتوس امتطى إلى روما قبله.

دوميتيان: أولوس... لمع فيّ هاجس...! الجمهوريون!

أولوس كايسينا: لقد اغتيل تيتوس!

دوميتيا: (تصرخ) دوميتيان! لقد حانت ساعتنا! أوه، ليت أحداً لا ينتزعها منا!

دوميتيان: أولوس سيساعدنا. أوه، دوميتيا، دوميتيا!

أولوس كايسينا: ليس من الجيد أن تعرف روما مبكراً جداً ما نعرفه نحن. دوميتيا، اذهبي لإحضار ليسيماكوس، وامنعيه من الكلام.

دوميتيا: (تركض يساراً).

أولوس كايسينا: برنيس في طريقها. من المحتمل أن الوصية بحوزتها. يجب أن تقابلها أولاً.

دوميتيان: (مذعوراً) أين برنيس؟

أولوس كايسينا: ذلك الاتجاه.

دوميتيان: (يركض يساراً).

أولوس كايسينا: الآن يا أولوس، بحكمة وشجاعة! (يذهب يساراً).

العبيد: (يركضون متجمعين من مختلف الأنحاء).

العبد الأول: سمعت الوالي يقول: اغتيل تيتوس!

بقية العبيد: (يصرخون من الدهشة).

العبد الثاني: ومنعوا من إشاعته.

العبد الثالث: أترى يجب تصديق هذا؟

العبد الرابع: وهل سيكون ذلك سيئاً!

العبد الخامس: سيكون أعظم بشرى، أعظم بشرى. صه!

العبد الأول: صه، صه... سيكون فرح عبيد روما.

العبد الثاني: انظروا، ها هو ليسيماكوس قادم باكياً.

ليسيماكوس: آه، ألم يحدث بعد! يا إلهي، يا إلهي! لقد اغتيل! (يبكي نائحاً).

العبد الأول: ليسيماكوس، هل ترغب في مجيئه؟ ألست أنت عبداً؟

العبد الثالث: ستبتهج روما إذا تخلصت من تيتوس.

العبد الرابع: لكن الطبيب الخاص يتأوه.

ليسيماكوس: منذ طفل صغير، منذ طفل صغير اعتنيت به، شفيته من أمراض كثيرة. حياته عزيزة علي. (يذهب نائحاً).

العبد الثالث: هذا هو الوحيد في روما كلها.

العبد الأول: في الإمبراطورية كلها، من هسبانيا حتى الفرات، تنطلق تنهيدة الارتياح.

العبد الثالث: الوالي!

العبد الثاني: برنيس!

كل العبيد: (يهربون متفرقين).

أولوس كايسينا وبرنيس: (يلتقيان).

برنيس: (مضطربة) أولوس، ماذا أسمع!

أولوس كايسينا: هكذا الأمر. عن طريق جواسيسي علمت أن الجمهوريين كانوا يتربصون به.

برنيس: يا قوى السماء! لقد اغتيل!

أولوس كايسينا: إنها فعلة الأخوين كاسيوس.

برنيس: أولوس، بعد قليل ستعرف روما كلها.

أولوس كايسينا: بعد قليل تنطلق العاصفة.

برنيس: (شامخة الرأس) من سيكون خليفته يا أولوس؟

أولوس كايسينا: برنيس! ثمة أمر واحد مهم لك ولي بنفس القدر في هذه اللحظة: يجب إبعاد دوميتيان!

برنيس: إلى هذا الحد تلتقي طرقنا يا أولوس.

أولوس كايسينا: إلى هذا الحد فقط؟ أليس أبعد؟ برنيس؟ أيتها برنيس الفاتنة!

برنيس: أنا من سيكون له ملك روما.

أولوس كايسينا: (بفخر) إذن أنت لي، لأن الحرس الإمبراطوري لي.

برنيس: (تجفل، ثم بتملق) أولوس، أنت لست مثل تيتوس الضعيف المستعد للبكاء. أنت تؤمن بنفسك.

أولوس كايسينا: هذا الإيمان هو إيمان روماني، ومن حوله تدور أحداث العالم العظيمة كما تدور حول محورها.

برنيس: أنت تصلح قيصراً يا أولوس.

أولوس كايسينا: كل شيء يتوقف على طرفة العين هذه. إذا ساعدتني الآن يا برنيس، فستبقين في مكانتك. تعجبني عيناك السوداوان وهمتك اليهودية يا برنيس... يجب إزاحة دوميتيان.

برنيس: أفهم هذا.

أولوس كايسينا: قولي له إن هناك وصية لفسباسيان... وإنك أنت وحدك تستطيعين العثور عليها. وعندما تكسبين ثقته، فسمّميه.

برنيس: لا ينقص إلا يمين رجل روماني.

أولوس كايسينا: يميني تناليهن هنا (يمد يده لبرنيس)... مع ذلك، تعرفين أن شعب روما يكرهك. لن أجعلك أوغسطا

حتى يصبح كل شيء مؤكداً.

برنيس: قد يكون هذا منتهى الحكمة. ولكن، حيث لا عين ترانا هنا...

أولوس كايسينا: أوه، برنيس! عندما أعانقك أشعر كأني أعانق ملك روما.

دوميتيان: (يأتي، ناظراً خلفه، مضطرباً) أولوس، ساعدني. إنهم يتمردون علي! يضحكون في وجهي!

أولوس كايسينا: برنيس لديها علم بوصية أبيك.

دوميتيان: آه، ساعداني. ماذا أقول لهم؟ أرشدني يا أولوس... برنيس! (يأتي شيوخ مجلس وفرسان وحرس إمبراطوري من اليسار، يتحاورون بحدة).

الشيوخ وغيرهم: ماذا؟ ماذا؟ ما هذه الإشاعة؟ أولوس، أوضح! أوضح!

أولوس كايسينا: أخشى أن الإشاعة فيها صدى. روما بلا قيصر.

الشيوخ وغيرهم: (يبدون دهشتهم).

دوميتيان: لكن لدي وصية، أُعيّن فيها شريكاً لتيتوس في الحكم وخليفة له.

الشيوخ والحرس الإمبراطوري: (يضحكون).

الشيخ الأول: إذا تخلصنا من تيتوس... أتظن أننا سنسارع لمناداتك. ليسقط الدخلاء الغاليون!

الشيخ الثاني: يجب أن يطلع الشيوخ على تلك الوصية.

دوميتيان: برنيس، أليست بحوزتك؟

الشيخ الثالث: ما شأن برنيس، وقد صمت تيتوس؟!

الشيخ الرابع: ليسقط اليهودي من قصر قيصر روما!

الشيوخ وغيرهم: ليسقط! ليسقط!

الشيخ الرابع: لا نريد مختار اليهود في روما.

دوميتيان: لست مثل تيتوس. لست ممثلاً، ولا قاسياً، ولا أبكي... وسأدك قوس نصره بالأرض، وسأمحو كل أثر له. سترون هذا!

الشيخ الأول: مر برنيس بالخروج من روما.

دوميتيان: لكن... لكنها تحمل... أولوس، ماذا علي أن أفعل؟

الشيوخ وغيرهم: (بضجيج) ليسقط برنيس!

تيتوس: (يركض من وراء الستار، يقف للحظة، ثم ينزل الدرج ببطء متظاهراً باللامبالاة).

برنيس: يا قوى السماء! تيتوس!

الآخرون: (يصيحون من الدهشة ويبقون في أماكنهم عاجزين عن الكلام).

أولوس كايسينا: قيصر... قيصر... نخب القيصر تيتوس فلافيوس فسباسيان، إمبراطور روما!

الحاضرون: نخب إمبراطور روما!

أولوس كايسينا: نحن... أنا... حسبنا... أن سوءاً ما قد أصاب...

الشيوخ: يا للسعادة، قيصرنا سالم!

العبيد: (يتزاحمون إلى الأمام) سيدي، اسمح لنا بتقبيل أهداب ثوبك، ليفرج فرح العبيد عن نفسه. (يحيطون بتيتوس جاثين حوله ومقبلين ثيابه).

أولوس كايسينا: وصلتنا معلومات أن الجمهوريين...

برنيس: تيتوس، أيها الإمبراطور، يا شمسي... اسمح لي أن أبتهج مع العبيد بنجاتك! (تنحني لتقبيل ثياب تيتوس).

تيتوس: يؤثر فيّ قلقكم الحنون. ويسرني أنني في أول يوم من حكمي أحصل على دليل حي على محبتكم. (يشير برغبته في أن يترك وحده).

الحاضرون: (يتفرقون في اتجاهات مختلفة).

تيتوس: (يركض إلى الليكتور ويشير بيده نحو أولوس كايسينا).

الليكتور: (يقتل أولوس كايسينا طعناً). (بسبب صرخة أولوس كايسينا، يهرع الذين غادروا للتو عائدين، متسمرين في أماكنهم من الفزع. يُحمل أولوس كايسينا خارجاً).

تيتوس: (عاجزاً عن إيجاد الكلمات) ها ها... لقد دبر خطة مؤامرة... وقعت في يدي... سأريكم جميعاً... اذهبوا، أو لا... لا يغادر أحد القصر... أريد أن أراكم حولي... أصدقائي الأعزاء...

الحاضرون: (يتفرقون حائرين، يتوقعون الشر).

القسطور: (يقف وحده أمام تيتوس).

تيتوس: اذهب أنت أيضاً.. بعد قليل سأستقبل هيئات الحكم. اذهب.

القسطور: (يغادر).

تيتوس: (منهاراً) ويحي، ماذا سمعت! أولوس كايسينا أراد أن يسمم أخي ويزيحه عن طريقه! دوميتيان أهان ذكراي. نبلاء روما سخروا مني. عبيد بيتي استهزأوا بي. برنيس، قلت: أنا من سيكون له ملك روما. الكل... الكل يسعون تماماً إلى ما أسعى إليه... وهم مستعدون للقتل والتسميم، مثلي. أوه، أيتها الآلهة، أهذه هي اللحظة التي سعت إليها حياتي! (ينظر حوله) ماذا أكون؟ هل أنا سيد العالم؟ أم أنا بائس، منبوذ، وحيد؟ لا أحد لي! أبي العجوز كان ليكون... (يصرخ): آه!

ليسيماكوس: (بعد سماعه الصرخة، يأتي من اليمين بصمت، ويبقى في الخلف).

تيتوس: ويحي، مثل أيل جريح ينعقد لساني هنا! (يلاحظ ليسيماكوس) آه، ليسيماكوس، ليسيماكوس! (يركض إليه كصديقه الوحيد).

ليسيماكوس: كيف صحتك يا سيدي؟ جسدك يرتعش.

تيتوس: (مخفياً حالته النفسية) ها ها... لطالما نويت أن أكلمك في هذا الأمر. انظر، إن مرضاً غريباً يعذبني.

ليسيماكوس: صف لي مرضك هذا لأعالجه.

تيتوس: هذا المرض غير لائق جداً بقيصر. فرغماً عني ينبعث ألم من صدري إلى هنا في حلقي، وترتعش أطرافي وتفيض عيناي بالماء.

ليسيماكوس: مرض عجيب حقاً.

تيتوس: قد يظن المرء أني أبكي. انظر بنفسك. لا شيء أكثر عاراً في عيون روماني. (بتهديد) إذن، فليكن مرضك طي الكتمان، تذكر!

ليسيماكوس: يجب غسل جسدك بماء أبرد ينبوع. أو الأفضل لو توافق على حمام ثلج... سآتيك بشراب مقوٍ. (يذهب يميناً).

تيتوس: لا أحد أشكو إليه.

ليسيماكوس: هنا يا سيدي، اشرب هذا. (يستدير ليحضر ماء).

تيتوس: (يسكب الشراب على الأرض، محدثاً نفسه) لا أحد يشفيني.

ليسيماكوس: (لاحظ أن تيتوس سكب الدواء، يتفحصه متأملاً).

تيتوس: ليسيماكوس، سأمنحك منصباً أهم من طبيب خاص، سأجعلك مؤتمن سري. لدي خطط حكم عظيمة. أريد أن أعرف من الآن فصاعداً كل ما يفكر به ويقال ويفعل في روما. لذلك سأوسع شبكة جواسيسي إلى شرك كبير كثيف يغطي الإمبراطورية كلها. سأزيح عن طريقي كل ما هو ضدي. أولاً، سأجعلهم يخافونني أكثر! سأريهم دماً غزيراً حتى يخروا أمامي مرتعدين. سأخلق لنفسي بيئة جديدة... لكن... هناك فيّ عطف وحنان. وانظر، أنوي الآن أن أبدأ حكمي بعمل خير كبير، كبير جداً، بحيث لم ير العالم له مثيلاً. انظر، لقد تنبئوا عني بأني سأصبح حاكماً عظيماً يملأ الدنيا بالأعمال الصالحة... ليسيماكوس، قل لي أنت، ما هو الخير الذي كنت ستفعله لو كنت قيصراً؟

ليسيماكوس: كنت لأمنح الحنطة للرومان وأقيم عروضاً ضخمة للوحوش.

تيتوس: كم أنت غبي يا ليسيماكوس... يمكنك الذهاب. (لنفسه) ويحي!

ليسيماكوس: (يهم بالذهاب).

تيتوس: انتظر... قل لي يا ليسيماكوس، هل تعرف أي مسيحي هنا في روما... من أولئك الذين كان نيرون يضطهدهم؟

ليسيماكوس: سيدي، إنهم يعيشون في الخفاء، هناك الكثير منهم، قد يكونون حولك... حتى بين عبيدك أنت.

تيتوس: (مندهشاً) ماذا تقول؟ إذن يمكنك حالاً إحضار أحدهم إلى هنا.

ليسيماكوس: أستطيع هذا.

تيتوس: انظر إذن ألا يزعجني أحد هنا، وأحضر المسيحي لأكلمه. أحتاجه الآن حالاً... حالاً! (يذهب يميناً).

ليسيماكوس: (يتبع تيتوس إلى الباب).

برنيس: (تأتي من اليسار، تتبع تيتوس متجسسة إلى الباب أيضاً).

ليسيماكوس: (يوقف برنيس) منع سيدي من دخول أحد عليه. (يقف على الباب).

دوميتيان ودوميتيا: (يظهران من اليسار).

برنيس: (هازة كتفيها، مشيرة إلى أنها لم تستطع الوصول إلى حديث تيتوس).

دوميتيان: إنه ممثل عظيم، لكنه ما كان ليستطيع أبداً أن يمثل بهذا الشكل. ألم تروا كم كان متأثراً... كم كان مسروراً.

دوميتيا: برنيس لديها فكر آخر.

برنيس: ماذا يعني منع مغادرة القصر؟... ومنع الوصول إلى حديثه؟

دوميتيا: إنه يعني الدم. يعني أن بعضاً سيعدمون اليوم. سأهرب! سأهرب! (تسرع إلى اليسار).

برنيس: لا أحد يهرب من هنا بعد الآن. لا:... إذا لم يكن في الإمكان تجنب النار، فيجب المرور عبر النار. (تذهب إلى اليسار).

دوميتيان: ليسيماكوس... إذا لاحظت شيئاً استثنائياً في أخي... إذا... إذا... لاحظت أنه يريد مثلاً سجني... فتوسل لأجلي أنت، إنه يصغي إليك، هو سريع التأثر، أنا أعرفه.

ليسيماكوس: أنا أحب تيتوس، سيدي. سأفعل كل ما بوسعي من أجله. حتى لو بذلت روحي. إنني رجل عجوز الآن.

دوميتيان: لكنك ستتحدث لأجلي أليس كذلك؟... ليسيماكوس، من المحتمل أنه يريد قتلي!

ليسيماكوس: آه، سيدي، ما معنى الموت بيد آخر! الأسوأ هو ذاك الذي يقتل، الأسوأ هو ذاك الذي يقتل!

دوميتيان: اسمع! أظنه قادماً! (يسرع خارجاً).

ليسيماكوس: (يتسمع عند الباب الأيمن، ثم يذهب إلى اليسار ويسقط على ركبتيه خلف أول عمود).

تيتوس: (بعد برهة) ليسيماكوس، أين مسيحيك؟

ليسيماكوس: إنه هنا.

تيتوس: انظر إذن أن الليكتور في مكانه، ثم أحضر المسيحي أمامي.

ليسيماكوس: (ينظر خلف الستار، يعود) الليكتور في مكانه.

تيتوس: والمسيحي؟

ليسيماكوس: تيتوس، إنه أمامك.

تيتوس: ماذا تقول؟ أنت مسيحي؟... ألست ليسيماكوس الغبي؟... (يصرخ) لقد خدعت قيصرك!

ليسيماكوس: أجل، تيتوس... لمصلحتك.

تيتوس: لا أدري كيف أنظر إليك. منذ هنيهة كنت عبدي، والآن أنت غريب، وحديثك ليس حديث عبد. من أنت؟... من حررك؟

ليسيماكوس: الحقيقة.

تيتوس: أنت تعرف الحقيقة؟ أفعبدي يجب أن ينحني أمامي، أم أنا أمام عبدي؟ (لنفسه) نظرته تأسرني! (بصوت عال،

ناظراً بخوف من تحت حاجبيه) أجل، أياً كنت... إذا كنت تعرف الحقيقة، فقلها لي. أجبني إذن عن السؤال الذي وجهته لتوي لليسيماكوس: قل لي عملاً خيراً، كبيراً واسعاً، لم يفعله أي من القياصرة بعد. فكر: لدي سلطان عظيم، سلطان على العالم لي، أنا قادر على كل شيء.

ليسيماكوس: كل شيء يستطيعه القيصر، إلا شيئاً واحداً.

تيتوس: ما الذي لا يستطيعه القيصر؟

ليسيماكوس: أن يفعل الخير.

تيتوس: القيصر لا يستطيع فعل الخير! لم أسمع حماقة كهذه.

ليسيماكوس: أنت تقول هذا، ومع ذلك تنهار مصعوقاً بالحقيقة.

تيتوس: (صارخاً) ليسيماكوس، ليسيماكوس، لقد رأيت من خلالي!

ليسيماكوس: أجل، تيتوس.

تيتوس: (بغضب) عبثاً قلت هذا، فقبل أن تفلت من يدي، سيكون الموت من نصيبك!

ليسيماكوس: لست أخافك ولا الموت. لهذه اللحظة عشت.

تيتوس: (بخوف، بصوت خفيض) إذا كان القيصر لا يستطيع فعل الخير، قل لي، ما الذي يجب أن أفعله إذن؟

ليسيماكوس: أود أن أنظر إليك يا تيتوس، مباشرة في العينين، وأنا أقولها. (يقتربان من بعضهما).

تيتوس: (يحاول النظر في عيني ليسيماكوس) ها ها...

ليسيماكوس: مباشرة في العينين، مباشرة تماماً.

تيتوس: أنظر، أنظر... (يمسك صدغيه بكلتا يديه).

ليسيماكوس: أجل يا تيتوس، هكذا بالضبط. لقد فهمت، قبل أن أفتح فمي. تخل عن سلطانك.

تيتوس: انظر، هناك حكام كانوا أسوأ مني. لكني مارست أعمالاً صالحة أيضاً. وكان في نيتي القيام بأعمال أعظم...

ليسيماكوس: وحتى لو كنت أنقى من ملاك، لكنت قلت لك الشيء نفسه: تخل عن سلطانك. هذا هو تعليم المسيحيين للجميع. لأن من أراد أن يكون الأول، فليكن للجميع خادماً. تخل عن سلطانك!

تيتوس: (نصف محدثاً نفسه) لو لم أكن أعرف أن الأمر كذلك... لكن عقلي رهيف، وقد أدركت هذا بنفسي منذ

زمن.

ليسيماكوس: إلى السلام والسعادة أدعوك، وإلى الأبدية أصحبك. تخل عن سلطانك يا تيتوس. هذا هو ذاك العمل العظيم الذي أردت أن تعرفه. لم يفعله أي من القياصرة بعد. لكن الأزمنة تنتظر عملك. لأنه سيأتي زمان ينزل فيه حكام الممالك عن عروشهم ويدخلون ملكوت الله.

تعال إلى جماعتنا يا تيتوس! نحن أخوية كبيرة. الجميع هناك يحبونك. كلنا واحد في الحياة وواحد في القيامة. إلى السلام والسعادة أدعوك.

تيتوس: (مستسلماً لحالة ليسيماكوس الذهنية) سأتنفس الصعداء حراً، في زفرة واحدة سأنفخ بعيداً هذا العبء. ويحي، ويحي! كطفل صغير أبكي.

ليسيماكوس: هذا هو دوائي الأخير والوحيد لمرضك الجديد هذا، يا تيتوس.

تيتوس: (يفيق من بكائه جافلاً). ليسيماكوس! الموت من نصيبك!

ليسيماكوس: عشت عبداً لك. لأشفيك، أموت طائعاً.

تيتوس: ها ها... لقد قلت إن القيصر لا يستطيع فعل الخير. سأريك. كنت نويت قتلك، لكني الآن أقول: سأحررك! اذهب! (عندما يتمهل ليسيماكوس): اذهب خلسة من ورائي، حتى لا ألاحظ ذهابك. أسرع! أنت لا تفهم أن هذا عمل عظيم مني. اذهب! اذهب، اذهب!

ليسيماكوس: وداعاً يا تيتوس!... استدعني إذا احتجت إليّ. سأذهب إلى إخوتي، سأخبرهم، سأهيئهم لقدومك! (يذهب).

تيتوس: ماذا قال؟ "سأخبر إخوتي"؟ غداً باكراً سيقف في السوق ويخبر معارفه: "لقد حولت فكر تيتوس، رأيته يبكي أمامي!" وستقول روما: "تيتوس يبكي، تيتوس ليس رومانياً". (يصرخ في أثر ليسيماكوس): قف أيها الرجل! (لليكتور): لا يجب أن يحيا. أحضر لي رأسه!... (لنفسه): لقد نجوت يا تيتوس أنت وصلجانك! لم يرك أحد بعد! أنت سيد روما!

الليكتور: (يحضر على ترس رأساً مغطى بقطعة قماش).

تيتوس: (يشير بوضعه بعيداً عنه).

الليكتور: (بعد أن وضع الترس، ينصرف).

تيتوس: (بخوف، بتردد) هل كنت أنا من فعل هذا، أم كان القيصر؟... أنا أخاف ذلك القيصر. إنه قاس. صدقت أنت، إنه لا يستطيع فعل الخير. (يقترب من الترس، يرفع القماش) بسمة على شفتيك، لكنك أبكم. قبل قليل تكلمت معي؛ ما زلت أسمع صوتك في الهواء.

قتلت صديقي الوحيد... الوحيد! هذا هو الإنسان الذي تخلت عنه الآلهة والبشر.

والآن تفارقني آخر سند. آخر دفء يغادرني. ليسيماكوس، لا تذهب، لا تذهب! لن أتركك، سأتشبث بك!... انظر، لقد بردت بسمتك. (يترك الرأس). ليسيماكوس، ماذا قلت لي؟ كيف كان؟ هنا وقفت... قلت: تخل عن السيادة! هكذا قلت. وسأتخلى فعلاً. ليسيماكوس، سأفعل كما علمت. سأهرب من هنا... سأهرب! (يركض يساراً، يتوقف عند الباب): القصر مليء بالناس... لماذا أهرب؟! سأجمع الجميع وأقول جهاراً... أنا؟... آه، كيف لي أن أخرج من هنا دون أن أضطر لرؤية أحد! ليسيماكوس، لقد تخليت فعلاً!

الليكتور: (يعلن) الأميرة برنيس.

تيتوس: (يجفل) خذ هذا بعيداً!

الليكتور: (يأخذ الترس).

تيتوس: ماذا أقول لها؟ أين أهرب منها؟

برنيس: (تأتي بخوف وتجسس).

تيتوس: (يتجمد عندما يراها).

برنيس: (تخر على ركبتيها أمام تيتوس) قيصر، ترتعش فرائصي من نظرتك الصامتة. أرى أنك تعرف كل شيء. ماذا عساني فعلت! وماذا عسى حيلتي أن قلبي يتوق إلى ملك روما. لقد تاق إليه قلبك أيضاً. وظننت أنك لم تعد بين الأحياء. آه، قيصر، قيصر، إني أخاف نظرتك الصامتة، أخاف وأعجب. ما الذي غيّرك في هذه اللحظة؟ لم أرَ مثل هذا الجلال من قبل. هكذا وقفت أمام أورشليم المحترقة، هكذا وقفت في أحلامي. أوه، قيصر، إني أرى أنك تستعد لأعمال عظام. أنت سيد روما، أنت وحدك!

لا تصمتَ بعد الآن أيها القيصر! انظر، إني جاثية أمامك، أستعطف رحمتك... تيتوس، إني أحبك، إني أحبك! أقمني، اجعلني أوغسطاك.

تيتوس: لأول مرة أسمع في صوتك رعشة حب، لا يمكن للأذن أن تخطئها. جئت متأخرة جداً يا برنيس. لا أستطيع أن أعطيك ما تطلبين. لم أعد شيئاً.

الليكتور: (يعلن) القسطور.

برنيس: (تنتفض واقفة، وتنسحب إلى اليسار خائبة).

القسطور: قيصر، إمبراطور: هيئات الحكم ترغب في تحيتك.

تيتوس: لا داعي... لآخرين...

القسطور: قيصر، أرى من كل شيء أن الحادثة السابقة هنا في القصر معلومة لديك. تريد أن تغض الطرف. لكن هذا لا يليق. الهمسات تسري خارج البلاط. هل يجوز خنق جرائم عظمى واضحة وجعلها كأن لم تكن؟

تيتوس: افعل ما تشاء.

القسطور: قيصر، هل تأمر بسجن القيصر دوميتيان أيضاً؟

تيتوس: ماذا آمر... لا آمر بشيء.

القسطور: هل يُترك دوميتيان إذن تحت المراقبة السرية؟

تيتوس: (لنفسه) ينبغي أن أفعل شيئاً، حتى لا يأكل بعضهم بعضاً من بعدي. (بصوت عال) قل لدوميتيان إني أعلنه خليفة لي.

القسطور: تعلنه وارثاً لسلالة الفلافيين؟... اسمح لي بالملاحظة أيها القيصر، أن هذا يجب أن يتم بمرسوم علني.

تيتوس: اجمع المرسوم. أريد أن أوقعه اليوم.

القسطور: أوه، أيها القيصر النبيل، أهكذا تكافئ خيانة أخيك!... ماذا تأمر أن نفعل ببقية المتورطين؟

تيتوس: لا شيء، لا شيء...

القسطور: هل تسلمهم لمحاكمة الشعب؟

تيتوس: لا، ولا هذا. ليكن الأمر كما لو لم يحدث شيء.

القسطور: (مندهشاً) قيصر... من بينهم ألد أعدائك.

تيتوس: اذهب. بلغهم حكمهم... انتظر بعد. تكلمت عن مرسوم. سأطلق سراح جميع المسجونين السابقين أيضاً. سألغي أحكام النفي والإعدام الأخيرة. يطلق الجميع... انتظر. أضف أيضاً أن جميع الجواسيس والمخبرين يطردون من روما.

القسطور: ستجعل نفسك بلا حماية أيها القيصر.

تيتوس: لم يعد لدي ما أخافه. لست بحاجة إليهم. لست بحاجة لشيء. (لنفسه) فقط لو أستطيع الخلاص!

القسطور: أوه، قيصر، أنت جلال مهيب، مجرد نظراتك تطرد المتربصين. أوه، يا أمير الرحمة! أسارع لتنفيذ أوامرك النبيلة فرحاً للعالم كله ودهشة. (يذهب).

تيتوس: "أمير الرحمة؟"... الآن أعتقد أني مستعد. (يهم بالذهاب يساراً. يقف عند الباب). (من خارج المسرح تسمع هتافات حماسية للإمبراطور).

ما هذا؟ "نخب، نخب إمبراطور روما". لأول مرة في حياتي أسمع فيها قلباً. آه كم اشتاق قلبي لسماع هذه التحية! الآن سمعتها... تعليم غريب:... لم أتمكن بعد من التخلي عن السيادة، وهي تمنحني أصلاً أن أذوق السعادة! لكنك لم تقل: احكم بأقل ما يمكن، بل قلت: تخل. هكذا قلت. (الهتافات تبدأ ثانية، تتزايد باستمرار).

تيتوس: (يتمهل عند الباب مستمعاً).

القسطور: (يسرع داخلاً) قيصر، هل تسمح لهم بالدخول؟ إنهم يريدون أن يفرغوا أمامك هتافاتهم، وأن يقسموا لك الولاء. انظر، حماستهم تفيض، الحواجز ستتحطم بعد قليل. تعال أيها القيصر، أطلع عليهم. قيصر، أين رداؤك الأرجواني؟ (يصرخ إلى اليمين) رداء القيصر! رداء القيصر إلى هنا!

صبية عبيد: (يحضرون الرداء الأرجواني).

تيتوس: (لنفسه) آه، ليسيماكوس، لن ألبسه إلا لأخلعه ثانية.

جاريتان: (تثبتان الرداء على كتفي تيتوس).

القسطور: (عند الباب، والهتافات تعلو أكثر) القيصر أوغسطس، إمبراطور روما يريد أن يطلع على شعبه.

تيتوس: (لنفسه) غداً يا ليسيماكوس، غداً! (يتقدم متردداً إلى الباب المفتوح، لكنه ما إن يبلغ العتبة ويرى الشعب المحيي حتى يتخذ هيئة الجلال ويسير خارجاً بيدين ممدوتين مهدئاً الشعب): ها أنا ذا.

الجاريتان: (تنصرفان).

الآخرون: (يتبعون تيتوس).

برنيس: (تتسلل إلى الأمام، وبعد أن تهدأ هتافات الفرح تتكلم بشغف متزايد، ناظرة في أثر تيتوس) "متأخر جداً؟" كل الآخرين كافأهم. أما أنا فنحاني. ألهنا تتحطم آمالي؟ لا، يا تيتوس! ليس جميعهم أصدقاءك بعد. عائلات الأعيان العريقة تنتظر مصرعك. الأخوان كاسيوس لم يُستخدمَا بعد... تظن أنك بلغت ذرى مجدك، عندما استرضيت أولئك وأغدقت عليهم. لكن أهمهم تركته دون استرضاء. لقد نبذت الأميرة اليهودية، وقفت في طريق إرادتها. أوه، يا مخرّب أورشليم! أتظن أنك ستنجو بلا انتقام. أيها القاتل، يا شارب دم شعبي، أنت يا من فرحت عيناك بحمرة الدم اليهودي. لا يا تيتوس، يهوه حي، والآن أنا سأكون لسان انتقامه! (الستار).

الفصل الرابع

المقصورة الإمبراطورية في الكولوسيوم. يُفترض أن الحلبة في الأسفل خلف المقصورة، مقدمة المسرح هي واجهة المقصورة. الأعيان يسيرون أزواجاً عبر المقدمة من اليمين إلى اليسار.

العَيْن الأول: لا يعرف المرء حقاً ما يفكر فيه.

العَيْن الثاني: أرى أنك بدأت تحابي تيتوس، "حتى أنت يا بروتوس".

العَيْن الأول: الشعب يهتف بمجده، ويجب الاعتراف بأن بعض أعماله... (يمضيان).

العَيْن الثالث: (سائراً برفقة العين الرابع) إنه ممثل عظيم. كل شيء محسوب وموزون سلفاً. أن يتحول من أشرس وحش إلى حمامة وديعة ناعمة... هذا أكثر من غريب. ليست في أعماله نبالة رومانية.

العَيْن الرابع: أحقاً؟!

العَيْن الثالث: إنها لا تأتي من الطبع، بل من النزوة.

العَيْن الرابع: عمل مثل طرد الجواسيس من المدينة... إنه عمل جريء من الإمبراطور. إنه جميل، إنه عمل عظيم.

العَيْن الثالث: كل شيء محسوب سلفاً فحسب.

العَيْن الرابع: وماذا تقول في أن القيصر حمل بيديه المصابين بالطاعون في كامبانيا، ووزع الطعام بيديه... مقيماً شهوراً وسط البؤس؟

العَيْن الثالث: تمثيل مدروس...! (يمضيان).

العَيْن الخامس: (سائراً برفقة السادس) ماذا؟ المقصورة الإمبراطورية لا تزال فارغة؟...

العَيْن السادس: لا بد أن جموع الشعب أوقفته مجدداً بعرائضهم.

العَيْن الخامس: هل سمعت ما يُحكى؟ يعتزم تيتوس نبذ برنيس.

العَيْن السادس: أوه، حقاً. إذا صح هذا، يسقط آخر سبب لاستيائنا. سأكون أول من يهتف بمجده...

العَيْن الخامس: سنرى هذا اليوم. برنيس لا تزال في روما. إذا دعاها القيصر إلى جانبه، هناك إلى مقعد الأوغسطا...

العَيْن السادس: اليهودية اللعينة! ليسقط تيتوس عندها!

العَيْن الخامس: صه!... أعتقد أن كل هذا قد فات أوانه. الشعب يؤله تيتوسه. (يمضيان).

كاسيوس الأصغر: (لكاسيوس الأكبر) أسمعت ما قالوا.

كاسيوس الأكبر: يحدث تحول في الآراء حتى في معسكرنا.

كاسيوس الأصغر: بعد قليل يفوت الأوان.

كاسيوس الأكبر: اسمع الآن... لكن لا تتفوه بكلمة: لقد قابلت برنيس.

كاسيوس الأصغر: وماذا؟

كاسيوس الأكبر: ستساعدنا. ستدنينا من تيتوس...

كاسيوس الأصغر: إن لم يحدث الآن، فلن يحدث أبداً. ما قيمة حياتنا إن لم نضح بها في سبيل عمل!

كاسيوس الأكبر: أخي، نحن اثنان محكوم علينا بالموت هنا!

كاسيوس الأصغر: لتنجُ روما من سلالة المغتصبين! سنموت، لكن فكرة الجمهورية ستولد من جديد بفضلنا!

كاسيوس الأكبر: إنه منتصف النهار الآن، وقت كريم لأحفاد الأعيان القدامى. أخي، أتسمع الضجيج من بعيد؟

كاسيوس الأصغر: إنها هتافات فرح الشعب.

كاسيوس الأكبر: هل خنجرك مخبوء؟

كاسيوس الأصغر: ها هو ذا.

كاسيوس الأكبر: اسمع، اسمع، يتعاظم الضجيج كانهيار جليدي. آه!

كاسيوس الأصغر: ثبات! قوة قرارنا لا تنقص، حتى وإن كانت في صمت وسط الضجيج. أنا مستعد للموت والنصر! (يختفيان بين الجموع).

الأعيان: (يتراجعون من اليسار، حيث يُنتظر وصول القيصر). (يمتلئ المسرح بالجمهور، الذي يحيي القيصر المقبل بالهتاف والضجيج).

تيتوس: (محاولاً كبح مشاعر السعادة) بهدوء أكثر، يا أصدقائي الأعزاء. ليذهب كل إلى مكانه، فسيبدأ العرض بعد قليل.

الشعب: نحبك، نحبك أيها القيصر، يا محسننا، نحبك يا معيلنا، نحبك يا سيد العالم! أنت قادر على كل ما تشاء! لا شيء

مستحيل عليك!

تيتوس: فليكن كما تقولون: لا شيء مستحيل علي. الآن هو اليوم الأخير من الاحتفالات. تعالوا إلي جميعاً، اطلبوا ما شئتم، سأحقق كل أمانيكم. لماذا لا تطلبون مني شيئاً حتى أستطيع تحقيق طلباتكم؟ أيها الأصدقاء، هكذا يضيع يومي سدى... هيا، لماذا تصمتون؟ هل من الصعب أن تقولوا؟

برنيس: (تتقدم).

الجمهور: برنيس! (استياء).

العَيْن الأول: يا للجرأة!

العَيْن الثاني: أوه، أي مكر يهودي!

تيتوس: برنيس؟

برنيس: أجل أيها القيصر. (أثناء التالية، يقوم مراقبو النظام بإبعاد الشعب).

تيتوس: أعرف أمنيتك.

برنيس: حقق إذن وعدك.

تيتوس: آه، برنيس، إنها مسألة شائكة. أنت لا تعرفين ماذا تطلبين. لا أستطيع أن أعطيك ما ليس عندي. أنت تذكرينني بأنه كان ينبغي ألا أكون هنا بعد. (ينهار).

برنيس: على مسمع من شعب روما وعدت بتحقيق طلب كل واحد.

تيتوس: أشفق عليك أيتها برنيس المسكينة. لا أريد أن يسيء إليك أحد مع ذلك. سأعطيك صك حماية إمبراطوري...

برنيس: تكلم بصوت عال! لقد ناديت بوعدك بصوت عال.

تيتوس: إذن انطقي أنت أيضاً بطلبك بصوت عال، لأجيب أنا بصوت عال، على مسمع شعب روما كلها. فليكن الآن.

برنيس: طلبك تخمنينه. كل واحد يخمنه.

تيتوس: إذن سأحاول أن أخمن ما هو الأفضل الذي أستطيع فعله لك... (للحاكم): ستجهز سفينة إمبراطورية تحت تصرف الأميرة برنيس. ويرافق الأميرة حرس إمبراطوري... أجل يا برنيس، سأحقق أمنيتك القديمة. سأدعك تذهبين لزيارة وطنك البعيد.

برنيس: أشكرك على كرمك! (لنفسها منكسرة) الآن يا تيتوس، لفظت حكمك على نفسك. (تتراجع خطوة إلى

الخلف).

تيتوس: (لبرنيس) أجل يا برنيس، وداعاً! لم أكن أنا من جعلك أوغسطا! (يبدأ تصفيق خافت مكتوم من جانب الأعيان).

تيتوس: (يلتفت عن برنيس، في فرح داخلي). ما هذا؟ إنهم الأعيان! أوه، أحققت حتى هذا! (بصوت عال ببرودة): صمتاً! ليس القيصر في الحلبة أمامكم!

الأعيان: نخب إمبراطور روما!

تيتوس: لتبدأ الألعاب.

الأعيان: (فيما بينهم) أرسلوا في طلب الزهور. نريد أن نظهر مشاعرنا. (يذهبون). (إشارات البدء تدوي).

تيتوس: (لنفسه) ليسيماكوس، هذه المرة الوحيدة فقط! مرة أخرى فقط أمام شعب روما! (يهم بالصعود إلى المقصورة).

برنيس: (تقود الأخوين كاسيوس إلى الأمام).

الأخوان كاسيوس: (يهجمان بخناجرهما في أثر تيتوس).

الوالي: (يحول بينهم، صارخاً) قفوا أيها الرجال! قتلة القيصر! (يهرع الناس من كل جانب).

الأعيان: (مذعورين) الأخوان كاسيوس!

العَيْن الأول: ماذا كنتم تفكرون! في أي ورطة أورطتمونا! (يقبض الليكتوريون على الأخوين كاسيوس).

العَيْن الثاني: في أية كارثة ألقيتم بأنفسكم!

الأخوان كاسيوس: نحن مستعدان للموت.

العَيْن الثالث: وكيف سيكون مصيرنا! أوه، يا للآلهة!

تيتوس: (ينزل، محدثاً نفسه) اهدأي أيتها الدماء الفائرة، اهدأي! (متمالكاً نفسه): ليسيماكوس، لن أحكم! (يشير لليكتوريين بإطلاق سراح الأخوين كاسيوس. بصوت عال): الأخوان كاسيوس؟ هذا صحيح، سمعت عنكما منذ زمن بعيد.

الوالي: أتأمر بأن ينفذ حكمك في الحال؟

التريبيون: أم تسأل حكم الشعب؟ أضمن أنه سيتوافق مع حكمك.

الوالي: ماذا تأمر أيها القيصر؟

تيتوس: ماذا آمر، ها ها!

الوالي: ما العمل أيها القيصر؟

تيتوس: ماذا نفعل؟ أجل... لتبدأ الألعاب، كما قلت للتو... ماذا هناك ليفعل غير هذا؟...

الجمهور: (يظهر الدهشة).

تيتوس: إلى الأمام أيها المصارعون!

المصارعون: "السلام على الإمبراطور! نحن الذاهبون إلى الموت نحيك!" (تُحضر سيوف المصارعين لتيتوس ليفحصها).

تيتوس: (يشير بإعطاء السيوف للأخوين كاسيوس). افحصوا سيوف المصارعين. أليسوا من فولاذ ممتاز.

الأخوان كاسيوس: (يقفان والسيوف في أيديهما).

الشعب: (يظهر إعجابه).

تيتوس: والآن، أعتقد أننا نستطيع البدء... (عندما لا يتحرك أحد): هذا صحيح: لا تزال لكما أم عجوز على قيد الحياة، فليسرع أحد فوراً إلى أم هذين الأخوين ليخبرها أنه لم يصبهما مكروه. أسرعوا، لئلا تصاب العجوز بنبأ خاطئ ويصيبها الفالج.

الجمهور: ماذا كان هذا؟ هل خرجت هذه الكلمات من فم القيصر؟

تيتوس: (لنفسه) بلهاء! ها هم واقفون وينتظرون مع ذلك متى ستقطع رؤوسهم. (دهشة الجمهور وإعجابه يبدآن بالظهور أكثر فأكثر).

تيتوس: وماذا؟ ما هذه الجلبة؟ لماذا لا يبدأون؟ (للأخوين كاسيوس): إذا لم يكن لكما مكان آخر، فتعاليا إلى جانبي في المقصورة الإمبراطورية. (للآخرين): تفرقوا جميعاً إلى أماكنكم!

الأخوان كاسيوس: (يجثوان على ركبتيهما أمام تيتوس).

كاسيوس الأكبر: أوه، قيصر، لم نستحق رحمتك. اسمح لنا بتقبيل ردائك!

كاسيوس الأصغر: أوه، قيصر، أنبل الأباطرة! اسمح لنا أن نحلف لك يمين الولاء! انظر، من أعدائك صرنا أكثر حراسك الشخصيين إخلاصاً!

تيتوس: قوما، قوما! اتبعاني. (يصعدون إلى المقصورة).

الأعيان: (يظهرون رضاهم وإعجابهم).

العَيْن الأول: يا للكرم اللامحدود!

العَيْن الثاني: يا للاتزان والهدوء الرومانيين!

العَيْن الثالث: يا للشخصية العظيمة!

العَيْن الرابع: أي جلال منال يشع من كيانه!

الأعيان: لم يُر مثله من قبل! نخبك، نخبك أيها الإمبراطور! أعظم تكريم سيكون قليلاً في حقك!

الشعب: (خارج المسرح) نخب الإمبراطور، نخب أمير الرحمة!

تيتوس: (كان جالساً في مقصورته برفقة الأخوين كاسيوس، ينتفض فجأة). ماذا أرى؟ (إلى الحلبة يسرع شباب وعذارى من الأعيان مكللين بالأكاليل. يصطفون!) (تسمع ترنيمة تمجيد قوية، تبدأ بصوت ديسكانت عال. تتعاظم وتقترب). "حب وبهجة الجنس البشري!"

تيتوس: إنهم يلقون إلي بالزهور! الشعب ينهض من أماكنه. الكل يسرعون إلى هنا! (ينزل مرتبكاً من المقصورة، ويتراجع إلى أقصى المقدمة. الشباب (27 فتى و 27 فتاة) يظهرون في الخلف منشدين وملقين بالزهور حول تيتوس. وكذلك الجمهور من الجوانب يحيي القيصر، قاذفين الزهور وهاتفين بالتمجيد).

تيتوس: (في أقصى المقدمة، لنفسه) يظنون أني طيب! (يستدير نحو المادحين، ويخطو بضع خطوات نحوهم بجلاله السابق، لكنه لا يستطيع كبح تأثره فيهوي على ركبتيه على الأرض، باكياً بشدة). (دهشة. الترنيمة تتوقف تدريجياً).

الوالي: قيصر، ما بك؟

كالياس: (ينحني لفحص تيتوس). لا بد أنها نوبة مرضية مفاجئة. ما بها أيها القيصر؟

الجمهور: (بصوت واحد، بخفوت) إنه القيصر، وهو يبكي بمثل هذه المرارة!

برنيس: (من بين الجموع) هكذا بدأ يهوه انتقامه. (الستار).

الفصل الخامس

نفس البهو المفتوح في المقر الإمبراطوري الخاص، كما في الفصل الثاني. نار تتقد على مذبح القربان. سرير. منضدة بأدوات كتابة. (العبيد يرتبون الغرفة ذهاباً وإياباً، وفي الغرفة الداخلية أيضاً). (يدخل دوميتيان ودوميتيا مع حاشيتهما).

دوميتيا: كل شيء هنا مرتب. سيرتاح هنا بشكل جيد. هنا، خارج روما الصاخبة، المكان هادئ ومريح له.

دوميتيان: (للعبيد في الغرفة الداخلية) ضعوا الوسائد أعلى! يحب تيتوس النوم ورأسه مرتفع. أنا أعرف.

دوميتيا: أجل، إنه ينام جالساً تقريباً، سمعت أنا أيضاً.

دوميتيان: ثم انصرفوا جميعاً. سيكونون هنا بعد قليل.

دوميتيا: كثرة الناس تزعج المريض. (تنصرف الحاشية والعبيد).

دوميتيا: دوميتيان، هناك شيء يخيفني: ماذا لو كان مرض تيتوس معدياً. يجب أن تبقى بعيداً عنه.

دوميتيان: لا أستطيع مغادرة هذا المكان. إذا حدث شيء ما، يجب أن أكون أول من يعلم. دوميتيا، ينبغي أن تكوني في روما. ليس من الجيد أن تعرف روما كم هو خطر مرضه. عليك أن تهدئي الناس هناك... وأن تكوني مستعدة لاستقبالي، إذا...

دوميتيا: (بهمس) ماذا تظن يا دوميتيان؟

دوميتيان: لا يمكن الحصول على يقين من الطبيب الخاص. يبدو قلقاً أحياناً. لكنه في أحيان أخرى يبدو وكأنه متأكد من الشفاء. ويصمت بعناد عندما يُسأل.

دوميتيا: لكن تيتوس نفسه يظن أنه سيموت. فقد سمعته يتأوه في أذن كالياس قائلاً: خطيئة واحدة تثقل ضميري يا كالياس.

دوميتيان: ما الذي كان يعنيه بتلك الخطيئة!

دوميتيا: لا أعرف. لكنه قال أيضاً: لا أستطيع التكفير عنها إلا بموتي.

دوميتيان: ها هم قادمون هناك.

دوميتيا: انظر، كم هو متعب وهو يتكئ على كالياس. انظر، كم هو شاحب! هذه ليست حياة.

دوميتيان: إلى روما، يا دوميتيا! قبل أن يمضي يوم كامل، قد يحسم كل شيء.

دوميتيا: أجل يا دوميتيان. سأذهب.

دوميتيان: دوميتيا، دوميتيا!

دوميتيا: على حصان أبيض سأنتظر مجيئك، وبالأرجوان سأكسوك!

دوميتيان: آه، دوميتيا! ربما تدق ساعتي قريباً!

دوميتيا: وداعاً! (تغادر من الخلف).

دوميتيان: (يتنحى جانباً ببطء عن طريق القادمين، راغباً في البقاء دون أن يلاحظه أحد. ينصرف). (يأتي تيتوس وكالياس من اليمين).

تيتوس: (متكئاً على كالياس) هل قلت لهم جميعاً أن ذاك البكاء لم يكن سوى انقباض عصبي عارض عند القيصر.

كالياس: قلت أيها القيصر.

تيتوس: ... وأنه هو نفسه لم يفهم سبب دموعه؟

كالياس: هكذا قلت.

تيتوس: أعلنت في كل الساحات، وشرحت الأمر لروما كلها؟

كالياس: شرحت، شرحت أيها القيصر.

تيتوس: هذا حسن... مرضي هذا قد يكون في صالحي: إنه يفسر الكثير. يمكن للجميع أن يفهموا منه أنها كانت مجرد نوبة مرضية عارضة. أريد أن يعرفوا في روما أيضاً أني مريض الآن. اجلس يا كالياس هناك إلى المنضدة واكتب عن حالتي وأرسل رسولاً سريعاً إلى روما. يجب أن يصل الخطاب إلى جلسة الشيوخ المنعقدة.

كالياس: (يكتب، يهم بطي الرق).

تيتوس: ماذا كتبت؟

كالياس: "جلالة القيصر، بعد وصوله إلى ضيعته العائلية، أصيب بمرض خطير."

تيتوس: كالياس، امح كلمة "خطير". إنها تثير القلق قبل الأوان. سيأتي الجميع إلى هنا وقد يبدأ البعض في انتظار موتي.

كالياس: (يسلم الرق ليُرسل).

تيتوس: ماذا تقول أنت عني؟

كالياس: سأحاول جهدي. الأمل لم ينته بعد... اجلس أيها القيصر، هنا على هذا السرير. بعد قليل سأجهز كل شيء، سأرتب آنيتي الطبية، وسأنظم عقاقيري. بعد قليل ستنتعش وتسمع كيف تزقزق القبرات بمرح في السحب. وكل شيء سيبتسم لك من جديد.

تيتوس: أنت تواسيني كمن يسير نحو القبر... كالياس، أغلق الأبواب بإحكام، حتى لا يكون هناك أحد من عبيدي هنا، ولا يأتي أحد من حاشيتي إلى الداخل. لا أريد أن أظهر بهذا الشكل. أوه، كالياس، آه من هذه الرحلة إلى هنا! لم أعتقد أني سأصل أبداً. الحمى تحرق صدغي، وحلقي جاف. أنا حقاً مريض بشدة.

كالياس: (عند منضدة أدويته) لقد لاحظت هذا منذ زمن بعيد أيها القيصر.

تيتوس: أعتقد أن أخي دوميتيان لاحظه أيضاً. بدا لي أنه سألك خلال الرحلة مراراً عن حالتي. بماذا أجبته؟ انظر إليّ، كالياس.

كالياس: أجبت أن هذا الارتفاع البطيء والمستمر في الحمى منذ زمن طويل لا يبشر بخير.

تيتوس: ألم يسألك كم تظنني سأعيش بعد؟

كالياس: (يصمت).

تيتوس: ألم يطلب منك تحديد ذلك الزمن... تلك اللحظة؟ ألم يقل: إن عدم اليقين ينخر عقلي؟

كالياس: (يحضر لتيتوس شراباً). اشرب أيها القيصر!

تيتوس: ما هذا يا كالياس؟

كالياس: انظر أيها القيصر، لقد أعددت شراباً يجلب حيوية جديدة لعروقك.

تيتوس: (شارد الفكر) هل هو من النوع الذي يؤثر ببطء ويقين، أم ربما من النوع الذي قد يشفي فوراً، لكنه قد يقتل فوراً أيضاً؟

كالياس: لا أفهم كلامك أيها القيصر. أعتقد أن حماك يجعلك تهذي. تعال أيها القيصر، يجب أن تستلقي على السرير. (يقود تيتوس إلى الخلف).

تيتوس: إلى أين تأخذني؟ (يتبع كالياس إلى أمام الغرفة الداخلية. يقف). لا، كالياس، لا إلى هناك! لست مستعداً بعد للموت. لكن إذا ذهبت إلى هناك، سأموت فوراً. هناك مات أبي.

كالياس: (يهز رأسه غير فاهم. يعيد تيتوس إلى مكانه السابق). أوه، أيها القيصر، لو أستطيع فقط تهدئتك وإيقاف حماك!

تيتوس: حياتي لا تتوقف على أدويتك يا كالياس. أنت اتخذتك طبيباً خاصاً ليس لأنك تجيد طبخ العقاقير، بل لأنك

عرّاف، قارئ بشائر. قل لي يا كالياس، هل تعرف بشيرة أكيدة، علامة ما، نستطيع أن نتكهن منها كيف سيكون مصيري.

كالياس: (بعد تفكير) قدم قرباناً لجوبيتر، ومن تعاريج الدخان اقرأ الأمور الخفية.

تيتوس: ماذا تقول!

كالياس: إذا تصاعد الدخان، فستحيا، وإذا تساقط على الأرض، فالآلهة تطالب بك.

تيتوس: (لنفسه) ويحي مما أسمع! لقد فعلت هذا مرة من قبل. وحينها قال الدخان الصدق. هل أجرؤ الآن أيضاً؟ (لكالياس): ماذا تظن؟ هل يتصاعد الدخان إلى العلى، أم تظنه سيبقى يزحف على الأرض؟

كالياس: الجو ساكن، السماء صافية. لكن دخان المذبح دائماً متقلب.

تيتوس: كالياس، أحضر لي إذن خصلة صوف من كبش القربان.

كالياس: (يذهب).

تيتوس: السماء صافية، الجو ساكن... لكن هكذا كان الحال حينها أيضاً!

كالياس: (يحضر خصلة الصوف). ها هي يا سيدي.

تيتوس: (يأخذ خصلة الصوف، يلقيها في النار ويدير وجهه بعيداً). كالياس، في أي اتجاه يذهب الدخان؟

كالياس: إنه يتصاعد يا سيدي.

تيتوس: (يستدير). إنه يتصاعد، إنه يتصاعد! عموداً مستقيماً يتصاعد.

كالياس: البشيرة تعدك بشفاء أكيد. سترتاح فقط بضعة أيام في سريرك، ثم تعود إلى روما!

تيتوس: أعود إلى روما... أحكم ثانية... أسمع تمجيدي ثانية... آه، كالياس، هذا لا يفرحني. يبدو الأمر كما لو لم أكن أريد أن أسأل ذاك. متى أموت، هذا سيان عندي. أريد أن أعرف هل صحيح أن القيصر يحيا بعد موته، كما يقال. أنا أريد أن أحيا. أريد أن أملك العالم إلى الأبد! إنه لي يا كالياس. شعرت أنه لي. لا أستطيع أن أفارقه، أبداً. آه، كالياس، قل، هل صحيح أن القيصر بعد موته يرتقي إلى مصاف الآلهة؟

كالياس: هذا هو الإيمان الروماني القديم. والبشيرة أيضاً وعدتك بالحياة.

تيتوس: ألا تعرف بشيرة أوضح؟ ذاك الدخان يتصاعد فقط لأن السماء صافية والجو ساكن. قل، قل يا كالياس!... (يُسمع قصف رعد بعيد، يتعاظم ثم يخفت، دون بداية أو نهاية واضحة).

ماذا كان هذا؟

كالياس: أظن الرعد قصف.

تيتوس: أجل، أجل، كان الرعد...!

كالياس: يا للأمر النادر! في وسط سماء صافية وضُحى مشرق!

تيتوس: الآن صار لي جواب. كل شيء، كل شيء يعود. أوه، قلبي ينقبض ومع ذلك أبكي فرحاً.

كالياس: هل تفسر ذاك القصف كبشيرة أيها القيصر؟

تيتوس: كالياس، إني أتخلى عن السيادة.

كالياس: تتخلى عن السيادة؟ أنت، الذي حكمت بالكاد عامين... أنت الذي في ذرى مجدك وبهائك... الذي لم يعرف العالم له مثيلاً، ولن يعرف.

تيتوس: أنت مخطئ جداً عندما تظنني طيباً. لا. أنا فقط أردت أن أتخلى. كل شيء بدأ من هذا. آه، منذ أن لم أعد أحكم، اختبرت أعظم سعادة حكم. لذلك أجلت الأمر يوماً بعد يوم. لكني الآن لم أعد أستطيع التأجيل. أريد أن أحيا! أريد أن أحيا بين الآلهة. أريد، يا كالياس.

كالياس: (غير فاهم، يهز رأسه مجدداً). هل تريد الآن أن تتذوق شرابي ربما؟

تيتوس: سنقول لدوميتيان إننا نتخلى. ليأخذ هو كل شيء.

كالياس: أنت مريض يا تيتوس. الحمى استولت عليك؛ قلبك يخفق بسرعة جنونية...

تيتوس: (لنفسه) لم تقل أنت: تيتوس، احكم بأقل ما يمكن. بل قلت: تخل. "سيأتي زمان ينزل فيه حكام الممالك عن عروشهم ليدخلوا ملكوتاً جديداً"... هكذا قلت.

كالياس: ويحي! أرى أن حالتك تسوء أيها القيصر. في عينيك تلوح بشائر النهاية الوشيكة، جبينك مبلل. قيصر، أتوسل إليك، تقبل، تقبل دوائي!

تيتوس: أريد أن أفعل ما هو سعادتي وحياتي!

كالياس: أنت واقف على عتبة العالم السفلي أيها القيصر، صدق طبيبك.

تيتوس: سترى كم سأصبح معافى. اذهب، قل لدوميتيان إن تيتوس يريد محادثته. اذهب!

كالياس: (يذهب. يعود بعد الجملة التالية).

تيتوس: الآن، الآن يجب أن أفعلها، وإلا فلن أفعلها أبداً. ميزان الحياة والموت بين يدي أنا.

دوميتيان: (يأتي مع حاشيته في أبهة إمبراطورية كاملة).

تيتوس: (يستدير نحو دوميتيان). آه! (بغضب): أنا قيصر روما، أنا، أنا، أنا!

دوميتيان: أنت قيصر روما، أنت وحدك. نخب القيصر، إمبراطور روما!

الحاشية: نخب القيصر، تيتوس فلافيوس، إمبراطور روما!

تيتوس: (منكسراً، لنفسه) لم أستطع، لم أستطع! (بصوت عال): كم أنت متبرج يا دوميتيان. ومع ذلك، أقول لك: أنت تتوقع من الرداء الأرجواني أكثر مما ينبغي. لا أحد يسير نحو الموت بقدر ما يسير القيصر.

دوميتيان: (لمن حوله) إنه يهذي.

الآخرون: (يومئون لدوميتيان بالموافقة).

تيتوس: إذا أردت أن تحكم بسعادة، فلا تحكم. لا تمس شيئاً. دع كل شيء يحدث كما يدور من تلقاء نفسه ضدك.

دوميتيان: أعطوه ماء. إنه محموم.

تيتوس: لست أهذي. كنت أهذي من قبل. الآن كل شيء يتضح. لا تحكم البتة. (يغرق في أفكاره).

كالياس: (يشير إلى أن حالة تيتوس مقلقة ويحث الحاضرين على الانصراف. يستلم لفافة رق من رسول).

دوميتيان والحاشية: (يظهرون الموافقة وينصرفون).

تيتوس: أين ذهبوا؟... الآن، كالياس، تقترب ساعتي الأخيرة. إنها تأتي لمساعدتي، عندما عجزت أنا، وتفصلني عن كل شيء، كما أردت. انظر، إني أحييها كمحررتي. أنا بنفسي سأذهب لملاقاتها، أنا بنفسي سأستدعيها إلي. انظر، دون مساندتك سأقوم وأمشي إلى حيث لن أعود أبداً. (يذهب إلى باب الغرفة الداخلية، يقف على عتبتها). كالياس! الآن اذهب وقل لدوميتيان إني قد مت.

كالياس: أوه، أيها القيصر، أي عمل مرير أوكلت إلى خادمك!

تيتوس: هذه آخر إرادتي الإمبراطورية. (يدخل إلى الداخل، ويغلق الستار وراءه).

كالياس: (يفتح الباب للخارج). (يدخل دوميتيان وحاشيته).

كالياس: لقد لفظ القيصر أنفاسه الأخيرة.

دوميتيان: أالآن؟ لم أكن أتوقع! أحقاً، أحقاً مات؟

كالياس: قبله. يقال إن الموتى حديثاً يستيقظون أحياناً للحياة من بادرة حب كهذه.

دوميتيان: كم أنت غير حذر يا كالياس. وماذا لو انتقل إليّ المرض من جسده الذي لم يبرد بعد؟ اعلم يا كالياس، أنت الآن حارس حياتي... آه! لا أستطيع أن أضيع لحظة واحدة في بيت الأحزان هذا. شؤون الدولة تستدعيني بعيداً! سأحمل خبر الموت أنا إلى روما. أيها الفرسان والفرسان! في هذه اللحظة، انضم القيصر تيتوس فلافيوس إلى مصاف الآلهة.

الحاشية: نخب القيصر، دوميتيان فلافيوس، إمبراطور روما!

دوميتيان: (لنفسه) آه! الآن حدث ذلك! أنا! (بصوت عال لحاشيته): إلى روما! (يجري خارجاً منتشياً مع حاشيته). (بعد قليل تُسمع قعقعة حوافر الخيل، التي تتقدم تدريجياً وتخفت أثناء التالية).

كالياس: (يسرع إلى باب الغرفة الداخلية، يزيح الستار لينظر إلى تيتوس).

تيتوس: (راكعاً على الأرض، مستنداً إلى عضادة الباب، يستمع إلى قعقعة الحوافر المتقدمة). هكذا امتطى تيتوس إلى روما ليعلن موت فسباسيان. الآن رأيت هذا أيضاً. لقد تخليت مع ذلك ولم أعد أرغب في العودة بعد. ما أحلى الموت، عندما يصفى كل شيء هكذا. شكراً لك، ليسيماكوس، على تعليمك. هو منحني حكماً سعيداً. وأكثر بعد: لقد طهر نفسي. انسوا تيتوس، تخلوا كلكم...

كالياس: (فتح اللفافة). قيصر، أنت تأمر بنسيان نفسك. اسمع ماذا يكتب لك مجلس شيوخ روما رداً! اسمع كم يحبك شعب روما: "أوه، أيها القيصر، كما تعترض سحابة تسوقها ريح عاصفة سريعة طريق الشمس، فتلقي بظلالها على الأنحاء المشرقة، هكذا خبر مرضك أظلم روما فجأة. في قلق، تطالب جموع الشعب بأنباء عن حالتك. أوه، لا يطل هذا المرض بعدك عن روما، التي تتوق لرؤياك من جديد... التي تؤله اسمك وقد ربطت به إلى الأبد حكمها عليك: حب وبهجة الجنس البشري، أنت حب البشرية وبهجتها!" (يلقي بالرق بعيداً) ماذا أرى؟ قيصر، هل سمعت ما قرأت؟ قيصر، أنت لا تجيب! (ينحني نحو تيتوس، يتحسسه). مات!

(الستار).

ختام المسير

وفي الختام، نحمد الله عز وجل أن وفّقنا لإتمام هذا العمل المتواضع في تعريب هذه المادة التي نقلناها عن مشروع غوتنبرغ لأهميتها، سائلين إياه أن يجعله لبنة مباركة تضاف إلى صرح المعرفة العربية، وأن يسهم في إثراء المكتبة العربية بنفائس العلوم العالمية.

هذه الكتب المترجمة في مجالات الفيزياء والأنظمة المعقدة والأدب الكلاسيكي والفلسفة والتاريخ والقانون، والتي نقلتها الدار عن مشروع غوتنبرغ لأهميته، تمثل خطوة على درب طويل نسعى من خلاله إلى رد الجميل للغتنا العربية، وتذليل الصعاب أمام طلاب العلم والباحثين للوصول إلى أحدث المصادر المعرفية بلغتهم الأم.

نسأل الله التوفيق والقبول، وأن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل من سلك طريق العلم والتعلم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

صهيب إسماعيل أحمد إسماعيل عطيت الله واصل (صهيب هرتز)
محمد أبو خليل محروس
مشروع إثراء اللغة العربية
دار صهيب هرتز للنشر
suhaib2018078@science.sohag.edu.eg
muhamedabukhalilae@gmail.com
معرف أوركيد: https://orcid.org/0009-0009-6904-2827
المُعرِّف الدولي الموحد (ISNI): https://isni.org/isni/0000000530269139
معرف ويكي بيانات: https://www.wikidata.org/wiki/Q89192873
رابط التوثيق الرقمي (Zenodo): https://doi.org/10.5281/zenodo.20556962